السعادة الزوجية

وقصص الصابرين والصابرات

الواجبات والحقوق المتبادلة بين الزوجين

الشيخ أسامة نعيم مصطفى







السعادة الزوجية
وقصص
الصابرين والصابرات

السعادة الزوجية وقصص الصابرين والصابرات

الواجبات والحقوق المتبادلة بين الزوجين

تأليف

الشيخ أسامة نعيم مصطفى





الطبعة الثانية

2007م - 1428هـ



أسامة نعيم مصطفى

السعادة الزوجية وقصص الصابرين والصابرات / مصطفى، أسامة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2005/1/181)

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (2005/1/188)

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ردمك: (ISBN 9957-423-36-3)

دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع

عمان – الأردن- العبدلي – هاتف 4613465 - 6 – 962+
فاكس 5689113 - 6- 962+
ص.ب 927426 – الرمز البريدي 11190 عمان / الأردن

www.alamthqafa.com
E-mail: info@alamthqafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، هادي البشرّية ومنقذ الإنسانيّة، وعلى آله وصحابته الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله، فرفعوا راية الإسلام خفّاقةً في المشرق والمغرب حتى علت كلمة الله، وعلى من اهتدى بهديْه، واستنّ بسنّته، ودعا بدعوته إلى يوم الدّين.

أما بعد:

إنّ الله تعالى جعل الزّواج سكينة ومودّة ورحمة، ولكنّه بجهل من الزّوج أو الزّوجة، يتحول إلى جحيمٍ من الخلافات. يقول الله تعالى: **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾** .

ولو أنّ الزّوج عرف مالهُ من حقوق، وما عليه من واجبات، ولو أنّ الزّوجة عرفت كذلك مالها من حقوق، وما عليها من واجبات، لقلّت نسبة الخلافات والطّلاق. فهذه صفحاتٌ تضمّ السّعادة الزوجيّة، أُقدّمها إلى كل مسلمٍ ومسلمة، ليكون المسلم زوجاً سعيداً مثالياً، ولتكون الزّوجة سعيدةً مثاليةً.

ولا تكون هذه السعادة إلا بالصبر بأنواعه الثلاث صبرٌ على الأوامر والطاعات حتى يُؤدياها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقعا فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطاها. فهذه أنواع الصبر الذي يجب أن يتحلى الرجل والمرأة به، لما فيه من تحقيق الخير العظيم والأجر الكبير. كيف

لا وقد ذكر الله عز وجل الصبر في القرآن في تسعين موضعاً وأثنى على أهله ثناءً عظيماً لما يلقاه الصابر من شدة وتحمل.

فلذلك لقد بيّنتُ في هذه أسس السعادة الزوجية وبعض قصص الصابرين والصابرات، لتكون هذه الأسس وهذه القصص أهدافاً حيّةً لكلٍّ مسلم ومسلمة يُريدان حقيقة السعادة في الدُّنيا والآخرة.

ولهذا أسأل الله وحده السداد والتوفيق وأن ينتفع بهذه الأسس والقصص إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تأليف
أسامة نعيم مصطفى

السّعادة الزوجية في القرآن الكريم

من فضل الله تعالى وتكريمه لبني آدم أن شرع لهم الزّواج، وجعل طريقة تناسلهم بهذه الطّريقة الشريفة المنظّمة، ولأنّ الزّواج بحدٍّ ذاته نعمةٌ من نعم الله -عزّ وجل - على كلٍّ من الرّجل والمرأة. ولأنّ أصل الزّواج في الإسلام هو حلول السّعادة والمودّة والرّحمة، ولأنّه الدّافع الأوّل لهذا الزّواج هي تلك المزايا التي يتحلى بها الزّوجان من سعة الصدر والأناة والمداراة والتلطف تحركها عوامل المودة والرحمة.

ونجد الحديث عن السّعادة الزّوجيّة ظاهراً في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

«المودّة»: بما تدلّ عليه من تقرّب كلٍّ إلى الآخر، والتلطّف معه و"الرّحمة" بما تشعر من حرص كلٍّ من الزّوجين على مصلحة صاحبه، والرفق به، والإشفاق عليه من كل سوء ومكروه، وهما عماد البيت الذي يُبقي على سكينة النّفس، ويجعلها حقيقةً مُدْركةً في الحياة، وهما أيضاً دستور السعادة وحسن المعاشرة بين الزّوجيّن التي تجعل كلاً منهما يشعر أنّه متمّم للآخر، وأنّه هو مُتممّ به أيضاً.

والآية نصّت على أنّ الحقوق بين الزّوجين متبادلة، طبقاً لمبدأ: كل حق يقابله واجب، فكل حق لأحد الزّوجين على زوجه، يُقابله واجب يؤديه إليه، وبهذا التوزيع تكفلت هذه القاعدة، على تحقيق التوازن بين الزّوجين من كافة النواحي، مما يدعم استقرار حياة الأسرة، واستقامة أمورها، وحلول السّعادة بينهما.

---

(1) سورة الروم: آية (21).

وعندما نتكلّم عن هذه الحقوق لجلب السعادة الزّوجية، إنما نريد ما يلزم به كل من الزّوجين تجاه الآخر، من حقوق يحميها القانون الإسلامي، ليكون الاستقرار العائلي الذي يُحقّق السّعادة.

ويُبيّن شيئاً من هذه الحقوق التي تجلب السعادة بين الزّوجين، ما ذكره ابن عبّاسٍ – رضي الله عنهما - عندما قال: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنطف[1] كل حقي الذي لي عليها، فتستوجب حقّها الذي لها عليّ، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ أي: زينة من غير مأثم»[2].

وقال ابن زيد – رحمه الله -: «تتقون الله فيهنّ، كما عليهنّ أن يتقين الله -عزّ وجل - فيكم»[3].

وقال قتادة السّدوسي – رحمه الله -: «جعل بينكم بالمصاهرة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، ورحمة رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعضٍ، وفي قوله – سبحانه وتعالى - ذلك لعبر وعظات، لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنّه الإله الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه - سبحانه وتعالى -»[4].

(1) استنظفت الشيء: إذا أخذته كله.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (123/3).
(3) المصدر السابق.
(4) تفسير الطبري (21/21).

السّعادة الزّوجيّة في السنّة النّبويّة

رغّب الرسول ﷺ في السّعادة الزّوجيّة بين الزّوجين، وذلك يكون بحسن الاختيار، ولما يترتب على هذا الزّواج من اكتساب ونيل السّعادة بين الزّوجين.
فكان ﷺ أوّلاً: يحضُّ على الزّواج، لأنّ هذا ما شرعه الله لنا: « تزوجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأُمم يوم القيامة...»[1].

وكان ﷺ ثانياً: يحضُّ على حسن الإختيار، وذلك لجلب السّعادة الزّوجية بين الزّوجين، فهذه دعوته ﷺ للرجل بالحرص على الزّوجة الصّالحة، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا الزّوجة الصّالحة»[2].

وعن ثوبان ﷺ قال: لمّا نزلت ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[3]، كنّا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟، فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسانٌ ذاكر، وقلبٌ شاكر، وزوجةٌ مؤمنةٌ تُعينهُ على إيمانه»[4].

فالإسلام يدعوا المرأة المسلمة إلى أن تكون سبباً في سعادة زوجها، وبالتالي تسعد هي معه. وأيضاً كما يبحث الرجل عن المرأة الصالحة لتكون سبباً لجلب السعادة له في الدنيا والآخرة أيضاً، يجب أن تبحث المرأة على الرّجل الصالح ليكون سبباً لجلب السعادة لها في الدنيا والآخرة، وهذا ما سوف أبينّه في الصفحات الآتية.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن برقم (78/7) وابن حبان برقم (1229) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (1782).
(2) أخرجه مسلم برقم (1467) وابن ماجة برقم (1855).
(3) سورة التوبة: آية (34).
(4) أخرجه أحمد برقم (278/5) والترمذي برقم (3093) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (5231).

الزّوجة المثاليّة في الإسلام

وللزوجة المثالية علامات وصفات مميزة، يجمعها الرسول ﷺ بقوله: «خير النساء: من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالها»(1).

وعن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السّعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتُعجبُك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة؛ فتُلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعةً كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسؤوك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً(2)، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»(3).

فهذه العلامات والصفات التي بينّها رسول الله ﷺ للمرأة التي تبحث عن جلب السعادة لنفسها ولزوجها، ولأنّ كل امرأةٍ تتمنى أن تكون زوجةً سعيدةً محبوبةً من زوجها ومُحبّةً له، وناجحة في حياتها الزّوجيّة، ولا تكون المرأة كذلك إلا بتنفيذ هذه العلامات والصفات التي بينها ﷺ لنساء المسلمين، ولأنّه ﷺ حريصٌ على كل بيتٍ من بيوت المسلمين أن يكون مليئاً بالسعادة والمودة والرحمة، بعيداً عن الشقاء والبُغض والظلم.

ولذلك إذا نظر إليها الزّوج سُرّ بها، فهي بمجرد نظر الزّوج إليها تُشرق الابتسامة له، فهي أجمل ما يراه الرجل بعد يوم كلّه تعبٌ وعنّاء.

---

(1) أخرجه النسائي برقم (72/2) والحاكم برقم (161/2) وأحمد برقم (251/2) وقال الحافظ العراقي سنده صحيح، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (1838).
(2) القطوف: الضيقة المشي.
(3) أخرجه الحاكم برقم (162/2) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (3051).

وبمجرد أن يأمرها الزّوج بأمرٍ فتكون مسارعةً في تنفيذه، فقدرها عند الرجل يرتفع، وحبها في قلب زوجها يزيد، إن كانت كذلك.

وإذا غاب عنها زوجها حفظت نفسها عن الوقوع في الشّبهات، وخطوات الشّيطان، وصون جمالها وزينتها عن غيره من الرجال، وحفظت ماله من الإسراف والتبذير، وحفظت لسانها عن الشكوى من ظروف الحياة.

فاحرصي أيتها الزّوجة أن تكوني كما يريدك الرسول ﷺ لتكوني سعيدةً إذا نظر إليك، وسعيدةً إذا أمرك، وسعيدةً في حفظ لسانك ومالك لزوجك، وحتى تكوني كما ذكرك النبي ﷺ خير النساء.

الزّوج المثالي في الإسلام

وللزوج المثالي أيضاً علاماتٌ وصفاتٌ مميّزة، يجمعها الرسول ﷺ بقوله: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبّح، ولا يهجر إلا في البيت»[1].

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «اتقوا الله في النساء، فإنهنّ عوانٍ عندكم، أخذتُموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، ولهنّ عليكم رزقهنّ، وكسوتهنّ بالمعروف»[2].

فالزّوج المثالي هو: أن يطعمها إذا طعم، ليس كما يفعله بعض الأزواج يأكل أفضل الطعام في المطاعم، ثم يبخل على زوجته وأولاده.

ويكسوها إذا اكتسى من الملابس التي تتزين المرأة لزوجها لا لغيره.

---

(1) أخرجه أحمد برقم (447/4) وابن ماجة برقم (1850) وأبو داود برقم (2142) والنسائي برقم (269) وابن حبان برقم (1286) والحاكم برقم (187/2) وصححه الألباني في الإرواء برقم (98/7).
(2) أخرجه مسلم برقم (183/8) والترمذي برقم (3087) وابن ماجه برقم (1873).

ولا يضرب الوجه، ولأنّ ضرب الوجه حرام، ولا يقبّح، بأن لا يسمعها المكروه، ولا يشتمها، بأن يقول: قبّحك الله أو قبّح الله وجهك، وما أشبهه من الكلام، ولا يهجر إلا في البيت، أي في المضجع، ولا يتحول عنها أو يهجرها إلى دارٍ أخرى.

فهذا هو الزّوج المثالي الذي أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث الأوّل، وأمّا الحديث الثاني ففيه بيان بعض العلامات والصفات التي بينها رسول الله ﷺ وهي: أن الرجل السعيد هو الذي يتقي الله -عزّ وجل- في زوجته، بأن يحافظ عليها وهي في بيتها، وفي خارج بيتها، وغير ذلك، وحيث شبّه النّبيّ ﷺ أن النساء عند الرجال عوان، أي أسيرات، فالإنسان المسلم هو الذي يحافظ على أسيره بإكرامه، ورعايته، وبالقيام على شؤونه، فكيف بزوجته؟، وأيضاً جاء الحديث أنّ النساء أمانة، عند الرجال والله عز وجل سيسأل كل إنسان عن هذه الأمانة حفظها أم ضيّعها، وجاء أيضاً أنّ الرجل هو الذي ينفق على زوجته بما رزقه الله، وهو الذي يكسو زوجته، وكل ذلك بالمعروف، وكل ذلك من أجل أن تدوم بينهما حسن المعاشرة الزّوجيّة والسّعادة أيضاً.

فاحرص أيها الزّوج أن تكون كما علّمك الرسول ﷺ لتكون سعيداً إذا أطعمتها، وإذا كسوتها، وإذا اتقيت الله فيها، وحتى تكون منفذاً لوصية الرسول ﷺ.

كيف يختار الرّجل زوجة تُعينه على السّعادة الزّوجيّة؟

اعلم أنّ المرأة التي تُعين زوجها على السعادة، ليس أيُّ امرأة، ولأنّه من الأمور التي تجلب السعادة للرجل، فَعلى الرّجل أن يُحسن اختيار المرأة التي تكون منشغلةً في الأمور التي تجلب السعادة لزوجها، فإذا كان الرجل يبحث ويختار هذه المرأة التي تجلب السعادة له، فإنّه يبحث عن الطريق الذي يذهب به إلى قمّة السعادة في الدنيا والآخرة، فلذلك فإنّ النبي ﷺ بيّن هذه المرأة التي تجلب السعادة للرجل، ووضع لها صفات ليس عند غيرها من النساء، وليكون الرجل باحثاً عن هذه الصفات لا عن غيرها، والسبب في ذلك حرص النبي ﷺ على سعادة الرجال، وأيضاً سعادة النّساء، ولذلك يذكر النبي ﷺ مواصفات المرأة التي تجلب السعادة للرجل بقوله: «تخيّروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء إليهم»[1] وقوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم»، أي: لا تضعوا نطفكم إلا في أصل طاهر، أي تكلفوا طلب ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها عن الخبث والمراد بالنطفة هي نطفة المني، والمعنى العام تخيروا النساء الصالحات الآتي يكنّ مستقر نطفكم التي يخلق الله منها أولادكم، أو تخيروا لأولادكم أمهات صالحات بأن تتزوجوا النساء صالحات يصرن أمهات أولادكم[2].

- وعلى ذلك يجب أن يكون اختياراً صحيحاً سليماً، وإنما يكون صحيحاً سليماً إذا روعيت فيه معاني وضوابط معينة أشارت إليها السنُّة النبويّة الشريفة ودلت عليها، فما هي هذه الضوابط والمعاني بينّها رسول الله ﷺ في قوله:

---

(1) أخرجه ابن ماجه برقم (607) والحاكم برقم (163/2) والدار قطني برقم (416) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2928) وفي الصحيحة برقم (1067).
(2) ذكره المناوي في فيض القدير (237/3).

«تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

ففي الحديث بيان أن هذه الخصال الأربع هي التي يرغب النّاس في نكاح المرأة من أجلها وأن ظاهر الحديث يفيد المفضلة هي ذات الدين وتفضيل المتدينة على غير المتدينة وإن كانت ذات حسب أو مال أو جمال، فإن تساوت امرأتان بالتدين واختلفتا في الجمال أو الحسب أو المال رُجّحت الجميلة أو الحسيبة أو الغنية. وقوله: «فاظفر بذات الدين» أي اطلب المتدينة حتى تفوز بها، لأن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته كالزّوجة. وقوله: «تربت يداك» أي لصقت بالتراب، وهي كناية عن الفقر، وهو خبر بمعنى الدّعاء، لكن لا يراد به حقيقته هنا، وإنّما يراد به الحثّ على طلب ذات الدين[2].

فلذلك عليك أن تعلم أنّ أهم مشكلات الزواج وصعوباته، هو انحلالٌ ناجمٌ عن التسرّع في اختيار شريك أو شريكة الحياة دون بحث وتدقيق، وكم سارع الشاب ومثله الشابة في انتقاء عروسه بمجرد سحره بجمالها، فوقع على أمّ رأسه وقاسى الويلات، ولهذا كله حضّ الإسلام على حسن اختيار الزّوج أو الزّوجة من ذوي الأخلاق والصّلاح والدّين. فاحرص أيها الرجل على هذه الصفات التي بيّنها رسول الله ﷺ لتكون سعيداً في زواجك.

(1) أخرجه البخاري برقم (132/9) ومسلم برقم (1469) وابن ماجه برقم (1858) وأبو داود برقم (2047).
(2) ذكره العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري (135/9- 136).

كيف تختار المرأة زوجاً يُعينها على السّعادة الزّوجيّة؟

اعلمي أنّ الرجل الذي يُعين زوجته على السعادة ليس أي رجل، ولأنه من الأمور التي تجلب السعادة للمرأة، فَعلى المرأة أن تحسن اختيار الرجل الذي يكون منشغلاً في الأمور التي تجلب السعادة لزوجته، فإذا كانت المرأة تبحث وتختار هذا الرجل الذي يجلب السعادة لها، فإنها تبحث عن الطريق الذي يذهب بها إلى قمة السعادة في الدنيا والآخرة، فلذلك فإنّ النبي ﷺ بيّن هذا الرجل الذي يجلب السعادة للمرأة، ووضع له صفات ليس عند غيره من الرجال، ولتكون المرأة باحثةً عن هذه الصفات لا عن غيرها، والسبب في ذلك، حرص النبي ﷺ على سعادة المرأة، وأيضاً سعادة الرجل، ولذلك يذكر النبي ﷺ مواصفات الرجل الذي يجلب السعادة للمرأة بقوله: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقُه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض»[1].

ففي الحديث بيانٌ أنّ الرجل صاحب الدين والخلق، هو الذي يزوّج، لأن الدين أهم عاملٍ للرجل الذي يعمل بأوامر الإسلام، ويجتنب نواهيه، ويكون برّاً بزوجته أمينا عليها، فإذا لم يفعل وليُّ أمر هذه الزّوجة على تزويج صاحب الدّين، ستنتشر الرذائل، والمفاسد، ولا عاصم لكثيرٍ من الناس من هذا البلاء ما لم يتزوّجوا.

وإيّاكِ أن تنخدعي ببعض كلام الناس، عندما يقولون لك: إذا كان الرجل لا يُصلّي، أولا يعرف الدّين، أنّكِ أنت سوف ترغبيه في الصّلاة، وفي الالتزام في الدّين، أو أنتِ تقولين: سوف أقوم على إصلاحه والتزامه في الدين، أقول لك: أيّتها المسلمة كم من فتاةٍ انخدعت من كلام النّاس وتزوّجها رجلٌ لا يُصلّي، ولا يعرف الدين، أو قالت: سوف أقوم على إصلاحه فيما بعد، وكانت

---

(1) أخرجه الترمذي برقم (201) وابن ماجه برقم (1967) والحاكم برقم (164/2) و (165/2) وحسنه الألباني في الإرواء برقم (1868).

الأمور عكس ما أرادت، فلماذا تضعين نفسك في مختبر تجارب، تنجح هذه التجربة أم لا تنجح، وكم من رجل قام هو على إفساد زوجته الصّالحة، وشغلها عن الدّين، وربّما تركت كُلّ الدين بسبب أنّه فاسدٌ فاسق، لا يستحقّ زوجةً صالحةً، وكم من هذا الزّواج الذي لم يقم على أصل الدّين انتهى إلى الفشل والطّلاق، فلذلك إحذري أيتها المسلمة في الوقوع في شباك هذا الصنّف من الرجال الذين لا يُصلّون ولا يرعون لله حرمة، ورحم الله الإمام الشعبي عندما قال: من زوّج ابنته فاسقاً فقد قطع رحمه.

وهذه المسؤولية تعود على والد البنّت، والبنت نفسها، فليتّقي الله -عزّ وجل- كلٌّ من الآباء والبنات الذين يُضيعون أعراضهم عند أُناسٍ لا يعرفون الله، ولا دين الله -عزّ وجل-.

فلذلك أيّتها المسلمة إحذري من تقصير الرجل في دينه بأي حالٍ من الأحوال، فإنّ من قصر في حق ربه، حتماً سوف يقصر إن آجلاً أو عاجلاً في حقك، ولا سعادة في اختيار رجلٍ ليس من أهل الصّلاة، ولا إسلامٌ حقيقيٌ لمن لا صلاة له، وأنّ الزّوج المتدين إذا أحبكِ أكرمكِ، وإذا أبغضكِ لم يظلمكِ شيئاً.

وأخيراً فليتق الله أناسٌ هان عليهم دينهم، فلا يُبالون بتزويج بناتهم الصّالحات ممّن هم عن الدّين معرضون، وللصّلاة مضيعون، وبالمنكر آمرون، وعن المعروف ناهون، إيثاراً لأغراض الدنيا ومتاعها الزائل، وليعلموا أنّهم بين يدي ربهم موقوفون، وعن فتنتهم لبناتهم مسئولون ﴿ **وَسَيَعْلَمْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [1] وقول النّبي ﷺ: «إنّ الله تعالى سائلٌ كل راعٍ عمّا استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيّعه؟ حتى يسأل الرّجل عن أهل بيته»[2].

---

(1) سورة الشعراء: آية (227).

(2) أخرجه ابن حبان برقم (1562) وابن عدي في الكامل برقم (307/1) وأبو نعيم في الحلية برقم (281/6) والحافظ في الفتح برقم (113/13) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1636).

السّعادة الزّوجيّة في الاستشارة والاستخارة الشّرعيّة

اعلم أيها القارئ، إذا اكتملت الشروط والصفات المطلوبة في الرجل المناسب، والمرأة المناسبة، وكانوا على صلاحٍ في الدّين، والخلق، والتقوى، وبعد التحري والسّؤال عن الرجل في صلاحه، والمرأة في صلاحها، وليعرف الطرفين ما يهمه معرفته، فإنّه يلزم الرجل بالسؤال عن المرأة وأهلها، وتلزم المرأة بالسؤال عن الرجل وأهله، فيستشير كل طرفٍ أهل المعرفة بالطرف الآخر في موضوع الإقدام على الزواج، سواء كان المستشار من الأقارب أو الجيران.

وعلى المستشار واجبٌ دينيٌ يتلخص بوجوب بيان ما يعرفه عن المسؤول عنه الخاطب وأهله، أو المرأة وأهلها، وإن كان في جواب المستشار ذكر مساوئ وعيوب المسؤول عنه، ولا يعتبر ذلك من الغيبة المحرّمة، وإنّما تعتبر من النّصيحة الواجبة[1].

ورحم الله الإمام النووي عندما قال في باب ما يباح من الغيبة: «ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان، ويجب على المشاور أن لا يُخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنّية النّصيحة...»[2].

فلذلك بعد هذا السؤال والتحري يبقي أمام الرجل أو المرأة الاستخارة الشرعية حتى يُلهمها الله -عزّ وجل- الخير والسعادة في هذا الزواج أو عكسه، ولذا فإنّي أُرشد الرجل أو المرأة إلى ما يلي:

1. على الرجل والمرأة أن لا يعتمدان على اختيارهما أصلاً، بل يستخيران الله -عزّ وجل- بصدقٍ في تيسير الخير لهما معتمدان على توفيق الله تعالى.

---

(1) المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم لعبد الكريم زيدان (59/6).
(2) دليل الفالحين لابن علان الصديقي (21/8).

2. وعلى الرجل والمرأة أيضاً أن يعتقدان من كل قلبهما أن الله تعالى القادر على اختيار الخير لهما، والقادر أيضاً على تحقيقه لهما، ولأن الله لا يُضيّع من فوّض أمره إليه بصدق.
3. وإذا لم يظهر لكما وجه الصّواب فعليكما بتكرار الصّلاة مرةً أخرى، فإنّ الخير فيها.
4. وأن لا يعتمدان الرجل والمرأة على الأحلام عند النّوم، وحساب اسم الزّوجين وغيرهما، مما لا أصل له في الدّين، وأنّ علامة الخير فقط بتيسُّر أسبابه.

وبعد هذا كله فإنّ على الرجل أو المرأة، الوضوء ثم الوقوف بين يدي الله تعالى، وصلاة ركعتين بقلبٍ خاشع، وبطلبٍ صادق من الله تعالى، وبعد صلاة ركعتين يتوجه الرجل أو المرأة مستقبلان القبلة بالدّعاء التالي:

«اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر وعليه أن يُسمّي الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاجل أمري وآجله فاقدره لي، ويسّره لي، ثمّ بارك لي فيه. وإنّ كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي، وعاجل أمري وآجله، فاصرفه عنّي، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به»[1].

ثمّ يذكر الرجل أو المرأة ما يُريدان من زواجٍ وغيره، فهذا هو مفتاح السّعادة الزّوجيّة بين الرجل والمرأة وهي التي تكون لهما طريقاً للوصول إلى قمة وحقيقة السّعادة الزّوجية في الدُّنيا والآخرة.

(1) أخرجه البخاري برقم (1162) و (6382) وأبو داود برقم (1538) وابن ماجة برقم (1383) والترمذي برقم(480) والنسائي برقم (80/6) وابن حبان برقم (887) وأحمد برقم (14707).

السّعادة الزّوجيّة في الخطبة الشّرعيّة

الخطبة الشرعيّة في الإسلام هي: إعطاء فرصة كافية للرجل، وأهله، وأوليائه، للسؤال عن المخطوبة والتّعرف على ما يهم الرجل، وأهله، وأولياءهم، من خصال المخطوبة. مثل: تدينّها، وأخلاقها، وسيرتها، ونحو ذلك، وأيضاً فهي إعطاء فرصة كافية للمرأة، وأهلها، وأوليائها، للسؤال عن الخاطب، والتعرف على ما يهم المرأة، وأهلها، وأولياءهم، من خصال الخاطب مثل: تديّنه، وأخلاقه، وسيرته، ونحو ذلك.

والخطبة الشرعية هي: التي تكون فيها الآداب الشرعية مثل: نظر الرجل إلى المرأة، ونظرها إليه بحدود الشّرع، ومثل عدم الخلوة بالمخطوبة، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، وهذا النهي عن الخلوة بالمخطوبة من باب سدّ الذرائع، وإغلاق منافذ الشيطان، إلا أن تكون مع ذي محرم، ومثل عدم تكشّف المخطوبة، وهو الزائد عن حدّه، وأجاز الإسلام للخاطب أن ينظر إلى وجه المخطوبة، دلالة على قدر ما لديها من جمالٍ ظاهري، ففي معرفة هذه الآداب والقيام بها الوصول إلى السّعادة الزّوجيّة.

وللخطبة فوائد عديدة لتحقيق المطلوب في هذه الفترة، وهي فترة الخطوبة، ففيها فرصة يختبر فيها الخطيب ميول خطيبته، نحو إنجاب الذرية، وتنشئة الأطفال وتربيتهم، فإذا لم تتفق الميول في هذه النّاحية، كانت صفقة الزّواج في الغالب خاسرة، وفيها أيضاً فرصة للمخطوبة للتّعرف على جَدّيّة الخطيب في القيام بما عليه من أعباءٍ، ومستلزمات، ومعرفة أيضاً حقيقة دينه، وخلقه، والتزامه، وهذه الفترة أيضاً تظهر فيها علامات، وحقائق الطريق الموصل إلى السعادة، وإما عكسها، فهي أي الخطبة، ارتباط جزئي

فيها الاتفاق، والوفاق، وفيها غير ذلك، وفيها أيضاً تأسيسٌ لحياة سعيدةٍ بعيدةٍ عن كل فشل، وعراقيل، تهدم الحياة الزّوجيّة، فليراعي كل من الرجل والمرأة على تأسيس هذه العلاقات بأساسٍ صلبٍ، ومتين، أوّله تقوى الله تعالى.

السّعادة الزّوجيّة في ليلة الزفاف

ليلة الزّفاف، أو العرس، هي أجمل يوم أو ليلةٍ يشعر فيها الزّوجين في حقيقة السعادة، إذا كان هذا العرس أو الفرح بما يُرضي الله -عزّ وجل- والابتعاد عن معصيته، وعلى سنة رسوله ﷺ في الأعراس، والأفراح، ليس كما يفعله كثيراً من الذين يتشبّهون باليهود والنّصارى، بإحضار الفرق الموسيقية المحرّمة، ووضعها في صالات للأفراح، والاختلاط بين الرجال والنّساء، ولا أدري كيف يبارك الله -عزّ وجل- ويرزق العروسين حقيقة السعادة عندما يعصون الله -عزّ وجل- أول ليلةٍ في زواجهما، فهذه الأموال التي أنفقوها في الحرام سوف يسألهم الله عنها، وهذه الموسيقى المحرّمة سوف يسألهم الله عنها، وهذا الاختلاط، وتكشف الأجساد للنساء، سوف يسألهم الله عنه، فهذا الذي يفعل ذلك، هل يبحث عن سعادته، وهو يعصي الله -عزّ وجل- لا أعتقد، قال تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ**﴾[1].

ولهذه الليلة وهي الزفاف، آدابٌ يجب على كل من الرجل والمرأة الالتزام بها لتكون أول مفتاح لسعادتهما في الدنيا والآخرة وليكون هذا الزواج مثالياً فهذه بعض آدابه:

---

(1) سورة الصافات: آية (24).

1. دعاء الزّوج لزوجته ليلة الزفاف لحديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزّوج أحدكم فليأخذ بناصيتها[1]، وليقل: اللّهمّ إنّي أسألك من خيرها، وخير ما جُبلت عليه[2]، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جُبلت عليه»[3]. ففي هذا الدعاء الخير والبركة، في بداية حياة الزوجين.
2. دعاء الزّوج عند بدء الجماع، لحديث ابن عبّاسٍ – رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللّهمّ جنّبنا الشّيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنّه إن يقدّر بينهما ولد في ذلك، لم يضرّه شيطان أبداً»[4].

ففي هذا الدعاء حفظ المولود من مسّ الشيطان، وببركة هذا الذّكر فيما إذا حملت المرأة من ذلك الجماع.

3. أن يُصَحّحا النّية عند الجماع من الرجل أو المرأة ليبارك الله لهما في هذه النيّة الصّالحة[5].

(1) وهي مقدمة رأس المرأة.
(2) أي خلقتها وطبعتها عليه.
(3) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد برقم (77) وابن ماجة برقم (1918) وأبو داود برقم (2160) والحاكم برقم (185/2).
(4) أخرجه البخاري برقم (151/4) ومسلم برقم (1434) والترمذي برقم (1098) وأبو داود برقم (2161) وابن ماجه برقم (1919) وأحمد برقم (286/1).
(5) والآداب في ذلك كثيرة جداً فلتنظر في كتابي المعاشرة الزوجية في الإسلام.

وصايا قبل الزّواج لسّعادة الزّوجيّن

- **وصيّة الأب ابنته عند الزواج:**

أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته، فقال: «إيّاكِ والغيرة؛ فإنّها مفتاح الطّلاق! وإيّاكِ وكثرة العتب؛ فإنّه يورث البغضاء. وعليكِ بالكحل؛ فإنّه أزينُ الزينة»[1].

- **وصيّة أمّ لابنتها عند الزواج:**

خطب عمرو بن حجر ملك كندة، أُمّ إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني، ولمّا حان زفافها إليه، خلتْ بها أمّها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصيةً تبيّن فيها أسس الحياة الزّوجيّة السّعيدة، وما يجب عليها لزوجها، ممّا يصلحُ أن يكون دستوراً لجميع النساء، فقالت: «أي بنيّة: إنّكِ فارقتِ الجوّ الذي منه خرجت، وخلّفت العُشّ الذي فيه درجت للغافل ومعونة للعاقل، ولو أنّ امرأةً استغنت عن الزّوج لغنى أبويها، وشدّة حاجتهما إليها، كنت أغنى النّاس عنه، ولكنّ النّساء للرجال خُلقن، ولهُنّ خلق الرجال! أي بنيّة: إنّكِ فارقت الجوّ الذي منه خرجت، وخلّفت العش الذي فيه درجت إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمةً، يكن لكِ عبداً وشيكاً، واحفظي له خصالاً عشراً، تكن لك ذخراً: -

أمّا الأولى والثانية: فالخضوع له بالقناعة، وحسنُ السّمع له والطاعة، وأمّا الثالثة والرابعة: فالتّفقّد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمُّ منك إلا أطيب ريح!.

وأمّا الخامسة والسادسة: فالتفقّد لوقتِ منامه، وطعامه، فإنّ تواتر الجّوع ملهبةٌ، وتنغيص النّوم مغضبة!.

---

(1) تحفة العروس للإستانبولي (ص83).

فأمّا السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، ومِلاك الأمر في المال حسن التّقدير، وفي العيال حسن التّدبير!.

وأمّا التاسعة والعاشرة: فلا تعصينَ له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنّك إن خالفت أمره، أوغرتِ صدره، وإن أفشيت سره، لم تأمني عنده، ثمّ إيّاكِ والفرح بين يديه إن كان مُغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً![1].

- **وصيّة الزّوج لزّوجته عند الزّواج:**

قال أبو الدّرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبتُ فرضّيني، وإذا رأيتُك غضبتي رضّيتُكِ وإلا لم نصطحب:

خذي العفو منّي تستديمي مودّتي	ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدّفّ مرةً	فإنّكِ لا تدرين كيف المُغيّبّ
ولا تُكثري الشّكوى فتذهب بالقُوى	ويأباك قلبي، والقلوب تُقلّب
فإنّي رأيتُ الحُبّ في القلب والأذى	إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهب[2]

- **وصيّة العمّ لصهره عند الزواج:**

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عمّه عُتبة ابنته، فأجلسه بجانبه وأخذ يمسح على رأسه ثمّ قال: «أقربُ قريب، خطبَ أحبّ حبيب، لا أستطيع له ردّاً، ولا أجدُ من إسعافهِ بُدّاً. قد زوّجتكما وأنت أعزُّ عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك. فأكرمها يعذُب على لساني ذكرك. ولا تُهنها فيصغر عندي قدرُك، وقد قرّبتك مع قربك، فلا تُبعد قلبي من قلبك»[3].

(1) تحفة العروس للإستانبولي (ص85).
(2) تحفة العروس للإستانبولي (ص85).
(3) المصدر السابق.

الحقوق المشتركة بين الزّوجيّن لحياةٍ سّعيدة

والحقوق المشتركة بين الزّوجين هي لبناء الأسرة، وهي أخطر بناءٍ في كيان المجتمع، بل في كيان الأمّة بأسرها، فإذا كان الناس يُعانون عند إقامة أبنيتهم من الأحجار، باختيار الموقع المناسب، وتحرّي المواد الجيدة، التي تكفل سلامة البناء المكّون من الأحجار والطين؛ فإنّ بناء الأسر المكوّنة من الرجال، والنّساء، والبنين، أولى بالدّقّة عند الاختيار، وأجدر بالتقّصيّ والاستفسار، لأنّ بناء الأحجار يتعلّق بشؤون الدنيا، وهي فانية، وبناء الأسرة يتعلق بسعادة الدّنيا، ويمتدّ أثره إلى الآخرة، وهي دار القرار، والأب المسلم لا يكفي وحده لتأمين القلعة، فلا بدّ أيضاً من الأمّ المسلمة، ليقوما معاً على هذه الحقوق المشتركة بينهما، وتعاونهما معاً لجلب ووجود حياةٍ سعيدةٍ تنشأ على الوفق، والاتّفاق، ولأنّ الأسرة بتكوينها مسؤوليّة الزّوج والزّوجة، فلا بدّ أن يستشعر كل منهما دوره في حياة الأسرة، وتحمّل أعبائها، ورعايةً للمصالح المشتركة والتي تعود على الأبناء بالاستقرار النفسي والعاطفي، فعلى ذلك فإنّ أهم هذه الحقوق هي على ما يلي:

التّعاون على طاعة الله - عزّ وجل -

المرأة الصالحة هي التي تعين وتشغل زوجها على طاعة الله -عزّ وجل - وكذلك الزّوج الصالح الذي يأمر أهله بالصلاة، ويعلّمهم أمور دينهم، ويوقظهم من نومهم ليذكروا ربّهم، كما يتّعهد كل من الزّوج والزّوجة الآخر، بحفظ ما تيّسر من القرآن الكريم، وأذكار الصباح والمساء،

والأعمال الصالحة، والدعوة إلى الله، ولقوله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من اللّيل فصلّى، وأيقظ امرأته فصلّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من اللّيل فصلّت، وأيقظت زوجها فصلّى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

والزّوجة الصّالحة هي التي تحثُّ زوجها على الحلال وتُحذّره من الحرام، ولله درُّ هذه الزّوجة الصّالحة عندما كانت تقول لزوجها: اتّق الله ولا تكتسب من حرام، فإنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النّار.

وتعاون الزّوجيّن على البرّ، والتقوى له آثاراً عظيمةً عليهما، وعلى ذريتهما، في الحاضر والمستقبل، أما في الحاضر: فإنّ سبب هذا التعاون بين الزّوجيّن على طاعة الله -عزّ وجل- تجعل الطفل يتشبع ويتأثر بما يراهُ، ويؤدي ذلك إلى حُبّه لطاعة الله، وتعظيمه لشعائر الإسلام، وسهولة انقياده لأمر الله، اقتداءً بأبويه كما قال تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ** ﴾[2]. وأما في المستقبل فإنّ تقوى الله -تبارك وتعالى-، والعمل الصالح الذي يتعاون عليه الزّوجان، أعظم ذخيرةً يدخرها الأبوان لحماية أولادهما، وأوثق تأمينٍ على مستقبل ذريّتهما، وأقوى ضمانٍ لسلامتهم، ورعاية الله لهم في حياتهما، وبعد رحيلهما، خاصّةً إذا تركاهم ضعافاً يتامى، لا راحم لهم، ولا عاصم من البشر، كان اللّقاء بينهم من جديد في الجنّة، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[3].

---

(1) أخرجه أحمد برقم (7410) وأبو داود برقم (1308) وابن حبان برقم (2567) وابن ماجه برقم (1336) والنسائي برقم (205/3) وابن خزيمة برقم (1148) والحاكم برقم (309/1) والبيهقي برقم (501/2) وقال شعيب الأرنؤوط في المسند: إسناده قوي.
(2) سورة آل عمران: آية (34).
(3) سورة الطور: آية (21).

وعن ابن عبّاسٍ – رضي الله عنهما - أنّه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ أنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني بإيمان، فأدخل الله -عزّ وجل - الأبناء بصلاح الآباء الجنة[1].

فليحرص كُلٌّ من الزّوجين، على ذلك ليكون لهم الأجر في ذلك في الحياة، وبعد الممات. ولله درُّ ابن الجوزي – رحمه الله - عندما قال: يا نفس، بادري بالأوقات قبل انصرامها، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيّامها، فكأنكِ بالقبور وقد تشقّقت، وبالأمور وقد تحقّقت، وبوجوه المتّقين وقد أشرقت، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت، يا نفس، أمّا الورعون فقد جدّوا، وأمّا الخائفون فقد استعدّوا، وأمّا الصّالحون فقد راحوا، وأمّا الواعظون فقد صاحوا ونصحوا[2].

غضّ الطرف عن الأخطاء

وعندما أقول الأخطاء وهي الأخطاء الغير مقصودة، في الأقوال، والأفعال، وممّا لا يخالف شرع الله -عزّ وجل - فالزّوج، والزّوجة، لا يقفان أمام كلّ تصرّف من تصرفاتهما، ويدمّران بيتهما بسببه، وقد قال ﷺ: «كُلّ بني آدم خطّاءٌ، وخير الخطّائين التّوابون»[3].

فعلى كل طرف ألا يقابل انفعال الآخر بمثله، فإذا رأى أحد الزّوجين صاحبه منفعلاً بحدة، فعليه أن يكظم غيظه، ولا يرّد على الإنفعال مباشرة، وهذه النّصيحة يجب أن تعمل بها المرأة، أكثر من الرجل، رعايةً لحق الزّوج،

(1) كتاب الاعتقاد للبيهقي (ص 74- 75).
(2) اليواقيت الجوزية لابن الجوزي (ص 33).
(3) أخرجه الترمذي برقم (2501) وابن ماجه برقم (4251) وأحمد برقم (198/3) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (4515) وفي المشكاة برقم (2341).

وما أجمل قول أبي الدّرداء ﷺ وقد مرّ معنا، عندما قال لزوجته: إذا رأيتني غضبت، فرضّني، وإذا رأيتُك غضبي رضّيتُك، وإلا لم نصطحب.

ولله درُّ محمّد بن إبراهيم الأنطاكي عندما قال: حدّثنا محمد بن عيسى قال: أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إنّي سيئ الخُلق، فقالت: أسوأ منك خلُقاً من أحوجك أن تكون سيئ الخلق، فقال: إذاً أنت امرأتي.

أيّها الزّوجان إن عزمتما فبادرا، وإن هممتما فثابرا، واعلما أنّه لا يدرك المفاخر من كان في الصّف الآخر، واصبرا للبلايا فحينها يسير، واثبتا للرزايا فأجرها كثير، إذن على كل من الزّوج والزّوجة أن يحتمل صاحبه، فلكلّ جواد كبوة ولكل امرئ هفوة، ولكل إنسان زلة، وأحقّ النّاس بالاحتمال، من كان كثير الاحتكاك بمن يعاشر.

حفظ الأسرار وعدم إشاعتها

إنّ حقيقة السّعادة الزّوجيّة تكون بحفظ الأسرار التي تكون بينهما، وذلك عندما أصبح الزّوج والزّوجة تحت سقف بيتٍ واحدٍ، يُفضي كلٌّ منهما للآخر أسراره، والأسرار كثيرة، ومتنوعة، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يُفشي الرجل سرّ زوجته، أو تفشي المرأة سرّ زوجها، فلا يذكر أحدهما قرينه بسوءٍ بين النّاس، ولا يفشي سرّه، ولا يخبر بما يعرفه عنه من العيوب الخفيّة، لكنّه في حقّ المرأة آكدْ وأقوى، لأنّ الخطر في تساهلها عظيمٌ جداً، يهدّد بأفظع النتائج الدينية والدنيوية، ويدمر الأسرة، فالمرأة الصّالحة حافظةٌ لزوجها في غيابه، من عرضٍ فلا تزني، ومن سرّ فلا تفشي، ومن سمعةٍ فلا تجعلها مضغةً في الأفواه، ومن حفظ السر: عدم نشر وإفشاء ما يكون بين الزّوجين، متعلقاً بالجماع، أو الحديث عمّا دار في الفراش، فكل ذلك من الأمور المحرّمة التي

لا يجوز علم ومعرفة النّاس بها، لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ من أشرّ النّاس عند الله منزلةً يوم القيامة، الرجل يُفضي[1] إلى امرأته، وتفضي إليه، ثمّ ينشر أحدهما سرّ صاحبه»[2].

ولحديث أسماء بنت يزيد – رضي الله عنها - أنّها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قُعود، فقال: «لعلّ رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعلّ امرأةً تُخبر بما فعلت مع زوجها؟!» فأرمّ (أي سكتوا ولم يُجيبوا) القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله! إنّهنّ ليفعلن، وإنّهم ليفعلون، فقال ﷺ: «فلا تفعلوا، فإنّما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والنّاس ينظرون»[3].

ومن إفشاء الأسرار، التفتيش عن العيوب، وذكرها للنّاس، وخاصةً إذا وقعت الخصومة بين الزّوجان، يذكر كُلٌّ من الزّوجين عيب صاحبه، وتلك غيبةٌ في حقّ من أفشى سرّ صاحبه، ويكفي أنّ إفشاء الأسرار سببٌ للبعد عن السّعادة الزّوجيّة، فليحرص كلٌّ من الزّوجيّن على سرّ صاحبه، ولا يكون كمن إذا خاصم فجر، فيا أيُّها الأزواج ما هذه الحيرةُ وأنتم تنظرون؟! وما هذه الغفلة وأنتم حاضرون؟ وما هذه السّكرة وأنتم صاحون؟! وما هذا السّكون وأنتم مطالبون؟! وما هذه الإقامة وأنتم راحلون؟! أما آن لأهل الرّقدة أن يستيقظوا؟! أما حان لأبناء الغفلة أن يتّعظوا؟! النّاس كلّهم في هذه الدّنيا على سفر، فاعمل لنفسك ما يخلّصُها يوم البعث من سقر.

---

(1) يفضي: أي يصل وهو كناية عن المعاشرة الزوجيّة.
(2) أخرجه مسلم برقم (1437) وابن أبي شيبة برقم (391/4) وأحمد برقم (69/3) وأبو نعيم برقم (236/10) وابن السني برقم (608) والبيهقي برقم (193/7).
(3) أخرجه أحمد برقم (456/6) والطبراني في الكبير برقم (162/24) وحسنه الألباني في آداب الزفاف (ص144).

المشاركة في الأفراح والأحزان

إنّ الله -عزّ وجل - جعل الزّواج سكينةً ورحمةً ومودّةً بين الزّوجيّن بما في قلبيهما من حبٍّ ووفاء، وذلك في مشاركتهما في أفراحهما وأحزانهما.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

إنّ المودّة لا تهبط علينا هبوطاً، ولا تَنْبُعُ من تحت أرجلنا نبعاً، إن لم نَسْعَ إليها ونأخذ بأسبابها الموصلة إليها حتّى نبلغها، ومن أعظم هذه الأسباب المشاركة في الأفراح والأحزان، وهي التي إن لم يتشبّع بها الجو الأسري، فَقَدَ المحبة والتّعاون، وحلّ محلّها الكراهية، وهذا هو الخراب الحقيقي للبيت، فإنّ بيتاً يقوم على الكراهية، والنزاع، والخصام بيتٌ خرب ومحترق.

وبالتعاون والمشاركة تجعل الأفراح مضاعفة، وبالتعاون والمشاركة تجعل الأحزان إذا نزلت خفت. فذلك هو الحبّ الذي يجدّد القلوب، بل ويقوّي الإيمان، وهو الحبُّ الصادق الخالص لوجه الله تعالى، الذي ينشأ ويستمرّ على التعاون والمشاركة بين الزّوجيّن في أفراحهما، وفي أحزانهما، ولأنّه سببٌ ضروريٌّ في تحقيق السّعادة الزّوجيّة، فليحرص كلٌّ من الزّوجين على ذلك، وسيرى كل منهما السعادة بأُمّ أعينهما، والله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه.

---

(1) سورة الروم: آية (21).

تزين الزّوجيّن لبعضهما

كما أنّ الزّوج يريد ويُحبُّ أن يرى زوجته في أبهى حُلّة، وأحسن زينة، فهي كذلك تُريد وتحبُّ أن ترى زوجها في أحسن صورة وأبهى حُلّة وزينة، والله -عزّ وجل - امتنّ على عباده بما أنزل إليهم من الزينة التي تحسِّن هيأتهم ومنازلهم. فهذا ابن عبّاسٍ – رضي الله عنهما - يقول: «إنّي لأتزيّن لامرأتي كما تتزيّن لي، وما أحب أن استنظف كل حقّي الذي لي عليها فتستوجب حقّها الذي لها عليّ، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [1].

فلذلك فإنّ تزيّن الرّجل لزوجته، وكذا المرأة لزوجها ينبغي أن يتّخذ منه الزّوجان الحظّ المناسب، لأنّه من أسباب الألفة والمودّة والمحبّة، وهو حقّاً مشروعاً لكلٍّ منهما على صاحبه، فزينة الرجل تكون بما يناسب رجولته، وهي الزينة المباحة: مثل الاكتحال، وتسريح شعره، وتنظيفه، ووضع العطر، والسّواك، وغير ذلك، وأن يبتعد عن الزّينة المحرمة شرعاً: مثل حلق لحيته، ولبس الحرير، وخاتم الذهب، وتغيير الشيب بالسواد، وغير ذلك، وعلى الرجل أن لا يتساهل في الزّينة المباحة لما يجلب له حقيقة المحبّة والألفة من زوجته، وعدم الزّينة تسبب الكراهية والنفور، وقد دخل على عمر بن الخطاب زوجٌ أشعثٌ أغبر، ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا[2] يا أمير المؤمنين، فعرف كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزّوج ليستحمّ، ويأخذ من شعر رأسه، ويقلّم أظافره، فلمّا حضر أمره أن يتقدم من زوجته، فاستغربته ونفرت منه، ثمّ

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (123/3).
(2) أي: خلصني منه.

عرفته، فقبلت به، ورجعت عن دعواها. فقال عمر: وهكذا فاصنعوا لهن، فوالله إنّهنّ ليحببن أن تتزيّنوا لهُنّ لما تحبّون أن يتزيّنّ لكم[1].

وزينة المرأة لا تكون محرّمة: كوصل الشعر، والنّمص، ولا أن تتزيّن وتظهر زينتها لرجلٍ غير زوجها، ولو أمر به الزّوج لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق» وعلى المرأة أن لا تتساهل في زينتها المباحة أمام زوجها لما تجلب لها حقيقة المحبة والألفة من زوجها، وأن لا تكون كمن يقول فيهن: قردٌ في البيت وغزالٌ في الشارع. فالمرأة لا تكون محبّةٌ لزوجها، ولن تتمكّن من ذلك، إلا من خلال اجتذابه، لتكون هي مرجعه وملاذه، وأن يراها دائماً في أبهى صورها، وأن يجد عندها من فنون إغرائه ومن جمالها وجاذبيتها ما يصرفه عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

المعاشرة الشرعية والاستمتاع في الفراش

يحلُّ لكلٍّ من الزّوجيْن أن يستمتع بالآخر، وأن يتمّ الجماع بينهما بالتّراضي، وبالطريقة التي أحلّها الله، وليراعي كل واحدٍ منهما إنسانيّة الآخر، فعلى الزّوجة أن تلبّي رغبة زوجها في الاستمتاع، وعلى الزّوج أيضاً أن يستشعر حاجتها للجّماع حتى يُحصّنها ويعفها عن الحرام، فلا يجوز لأحد الزّوجين أن يغمطه صاحبه مع القدرة عليه.

وليحرص الرجل من عدم إنشغاله عن إعطاء زوجته هذا الحق الذي بسببه يعفّها ويغنيها عن الوقوع في الحرام، فلها الحقُّ أن تُطالبه في ذلك، لتحفظ نفسها وتحصن فرجها، ولا يجوز له الإنشغال عنها بأي سبب من الأسباب، فإذا انشغل عنها فهو آثمٌ لتضييع حقها.

(1) تحفة العروس للإستانبولي (ص 93- 94).

وقد رُوي أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يصوم نهاره كلّه، ويقوم ليله كلّه، فبلغ أمره النّبيّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النّهار، وتقوم اللّيل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعلنْ، صُم وأفطر، وقُم ونَم، فإنّ لجسدك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً»[1].

ولتحرص أيضاً المرأة من عدم انشغالها عن إعطاء زوجها هذا الحقّ الذي بسببه يعفّ نفسه، ويبتعد عن الوقوع في الحرام، فله الحقّ أن يُطالبها في ذلك ليحفظ نفسه، ويحصّن فرجه، ولا يجوز لها الانشغال عنه بأي سببٍ من الأسباب، فإذا انشغلت عنه فهي آثمة لتضييع حقّه، وتكون تحت سخط الله -عزّ وجل - ولعنة الملائكة حتى تصبح، لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه (أي: إلى الجماع)، فأبت أن تجيء، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتّى تصبح،» وفي رواية قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السّماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها»[2].

ولحديث طلق بن علي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا الرجل دعا زوجته لحاجته، فلتأتهِ وإن كانت على التنّور»[3].

ففي هذا الحديث بيانٌ أن سخط الزّوج يوجب سخط الرّب، وهذا في قضاء الشّهوة، فكيف إذا كان في أمر الدّين.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (1975) ومسلم برقم (1159) والنسائي برقم (211/4) وأحمد برقم (198/2) والبغوي برقم (1810) والبيهقي برقم (299/4).
(2) أخرجه البخاري برقم (5194) ومسلم برقم (1059) وأبو داود برقم (2141) والدارمي برقم (149/2) وأحمد برقم (255/2) و (348/2).
(3) أخرجه الترمذي برقم (1160) وابن حبان برقم (1295) والبيهقي برقم (292/7) وأحمد برقم (22/4) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (1202).

وقوله ﷺ: «وإن كانت على التنّور» أي: فلتجب دعوته، وإن كانت تخبز على التنّور، مع أنّه شغلٌ شاغل، لا يتفرغ منه إلى غيره إلا بعد انقضائه، وهذا بشرط أن يكون الخبز للزوج، لأنه دعاها في هذه الحالة، فقد رضي بإتلاف مال نفسه، وتلف المال أسهل من وقوع الزّوج في الزنا[1].

فعلى الزّوجين أن لا يغفلان عن هذا الحق خوفاً من وقوع المفاسد، والمصائب، فربما إذا ضاع حق الزّوج من معاشرة زوجته، تسبّب في انحراف الزّوج، ونظره إلى الحرام، وأيضاً إذا ضاع حقّ المرأة من معاشرة زوجها، تسبّب في انحراف الزّوجة، ونظرها إلى الحرام، وإذا لم يغفلان الزّوجيّن عن هذا الحق كانت لهما حقيقة السعادة، ويكون هذا الزواج زواجاً مثالياً، ولا يكون إلا بإعطاء كُلّ ذي حقٌ حقه.

الحقوق الزّوجيّة المتبادلة

إنّ الحقوق الزّوجية المتبادلة التي نتكلّم عنها، ليست مجرّد وصايا، إنّما نريد بالحقوق الزّوجيّة ما يلزم به كل من الزّوجيّن تجاه الآخر، من حقوقٍ يحميها القانون الإسلامي، فكل حقٌ لأحد الزّوجين على زوجه يقابله واجب يؤدّيه إليه، وبهذا التّوزيع يتحقّق التوازن بين الزّوجيّن من كافّة النّواحي، وممّا يساعد على دعم استقرار حياة الأسرة، واستقامة أمورها نحو حياةٍ سعيدةٍ وزواج مثالي.

ولقد قرّر القرآن الكريم هذه الحقوق، في قانونٍ وقاعدةٍ تشريعيةٍ دقيقةٍ هي قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[2].

(1) مرقاة المفاتيح للملا علي القارئ (467/3).
(2) سورة البقرة: آية (288).

قال القرطبيّ – رحمه الله -: «الآية تعمّ جميع ذلك من حقوق الزّوجية».

وقال ابن زيد – رحمه الله -: «تتقون الله فيهنّ، كما عليهنّ أن يتقين الله –عزّ وجل - فيكم»[1].

فليتعاون الزّوجان في تبادل هذه الحقوق الواجبة على كل منهما، لينعما في حياةٍ سعيدةٍ ليس لها مثيلٌ ولا نظير، سعادةٌ في الدنيا وسعادةٌ في الآخرة.

وعلى ذلك سأذكر هذه الحقوق الزّوجيّة التي بتطبيقها تكون السّعادة، ومنها: حقوق الزّوج على زوجته، وحقوق الزّوجة على زوجها، ليعرف كل منهما ماله، وما عليه، وسأذكر أوّلاً: حقوق الزّوج على زوجته وهي على ما يلي:

الزّوجة تطيعُ زوجها على الدّوام في المعروف

طاعة المرأة لزوجها حقٌّ واجب، أوجبه الله -عزّ وجل - على المرأة، ورغّب رسول الله ﷺ المرأة فيه، لأن طاعة المرأة لزوجها من موجبات الجنّة، كالصّلاة والصّيام، وغيرها، ولا شك أنّ طاعة المرأة لزوجها، يحفظ كيان الأسرة من الانهيار، والدمار، وتبعث إلى محبّة الزّوج القلبيّة لزوجته، وأنّ مقدار طاعتها لزوجها هو مقياس نجاح حياتها الزّوجيّة، فقدر المرأة يرتفع، وحبّها في قلب زوجها يزيد، إن أطاعت زوجها بغير معصية الله -عزّ وجل -.

وقد جاءت أحاديثٌ كثيرةٌ صحيحة، مؤكّدة لهذا المعنى، ما للمرأة وما عليها، إذا هي أطاعت زوجها أو عصته:

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – رحمه الله- (123/3) و (124/3).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنّت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»[1].

وعن حصين بن محصن ﷺ قال: أنّ عمّةً له أتت النبي ﷺ في حاجةٍ لها، فلمّا فرغت من حاجتها، قال لها النبي ﷺ: «أذات زوجٍ أنت؟» قالت: نعم. قال: «كيف أنت منه؟» قالت: ما آلوه[2] إلا ما عجزتُ عنه، قال: «فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك»[3].

ولّما كانت الصّلاة أسمى أنواع العبادات، والسّجود فيها ذروتها، فقد اعتبر الشرع مكانة الزوج بالنسبة لزوجته، أنّها بمستوى سجودها له، وكاد أن يأمرها بالسجود له، لولا أنه لا ينبغي السّجود لغير الله - سبحانه وتعالى -.

فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمّدٍ بيده، لا تؤدّي المرأة حقّ ربها، حتى تؤدّي حقّ زوجها كلّه، حتى لو سألها نفسها وهي على قتبٍ لم تمنعه»[4].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما - عن النّبي ﷺ قال: «إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبدٌ أبق من مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأةٌ عصتْ زوجها حتى ترجع»[5].

---

(1) أخرجه أحمد برقم (191/1) وابن حبان برقم (4151) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (660).
(2) ما آلوه: أي لا أقصر في طاعته وخدمته.
(3) أخرجه أحمد برقم (341/4) وابن أبي شيبة برقم (304/4) والحاكم برقم (189/2) والبيهقي برقم (291/7) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(4) أخرجه أحمد برقم (381/4) وابن ماجه برقم (1853) وابن حبان برقم (1290) والبيهقي برقم (292/7) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (5295) وفي الترغيب برقم (76/3).
(5) أخرجه الحاكم برقم (173/4) والطبراني في الصغير برقم (172/1) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (288).

فلتحرص وتحذر المسلمة المؤمنة أن تكون من أولئك النساء المسارعات بمخالفة أزواجهنّ، فلا تؤمر الواحدة منهن بشيءٍ إلا سارعت إلى مخالفته، حتى ولو كان فيه مصلحتها، إنّ هؤلاء يقعن في سخط الله، ويُعرّضنَ حياتهنّ للدّمار.

ويجب أن تعلم المرأة أنّ حقّ الزّوج على المرأة أعظم من حقّ والديها، كما جاء في ذلك عن النبي ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله - «وليس على المرأة بعد حقّ الله ورسوله أوجب من حقّ الزّوج»[1].

ويجب أن تعلم أيضاً أنّه إذا نهاها الزّوج عمّا أمر الله، أو أمرها بما نهى الله عنه، لم يكن لها أن تطيعه في ذلك، لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصيّة الخالق»[2].

ولهذا عليك أيّتها الزّوجة إنْ كنت ممّن يبحث عن السّعادة مع زوجها، فعليكِ تنفيذ هذا الحقّ، وهو الأساس المهمّ للوصول للسّعادة الزّوجيّة، إذن فالزّوجة العاقلة بفهمها، ورجاحة عقلها، وبُعد نظرها، وحقيقة أخلاقها، تستطيع الفوز بمرضاة زوجها، وسعادتها وسعادته في الدنيا والآخرة.

حفظ غيبة زوجك

وهذا الحق أهم حقوق الرجل على زوجته، وهو الذي يجعل منها أميناً، وحارساً على بيته، وعلى أولاده، وعلى ماله، فالبيت مملكةً، والزّوجة هي الملكة، وهي التي لا تبدي زينتها إلا لزوجها، ولذوي محارمها على التأبيد مع أمن الفتنة، ولا تخلو بأجنبي، ولو كان شقيق زوجها، ولا تأذن لمن لا يرضى

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية – رحمه الله- (275/32).
(2) أخرجه البخاري برقم (203/13) ومسلم برقم (15/6) وأبو داود برقم (2625) والنسائي برقم (187/2).

الزّوج دخوله عليها، وهي حافظةٌ لزوجها في غيابه، من عرضٍ فلا تزني، ومن سرٍّ فلا تفشي، ومن سمعةٍ فلا تجعلها مضغةً في الأفواه.

لقد امتدح الله -عزّ وجل- المرأة الصّالحة التي تحفظ لزوجها في غيبته، فقال تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ [1].

أي حافظاتٌ لمغيب أزواجهنّ بحفظ الله، ومطيعات لله تعالى، ولأزواجهنّ فالزّوجة بقدر محافظتها على عفّتها، بقدر محبّة الله لها، وأمّا الزّوجة المستهترة، التي لا تحفظ غيبة زوجها، بخروجها من بيتها، وقد كشفت عن مفاتنها، وكان هذا الخروج بغير علمٍ من زوجها، ماذا تقول لربها؟.

فإذا كانت المرأة من هذا النوع، فهي من الهالكين يوم القيامة، لقول النّبي ﷺ: «ثلاثةٌ لا تسأل عنهم[2]: رجلٌ فارق الجماعة، وعصى إمامه، ومات عاصياً، وأمةٌ أو عبدٌ أبق فمات، وامرأةٌ غاب زوجُها، قد كفاها مؤنة الدنيا، فتبرّجت بعده، فلا تسأل عنهم»[3].

فالمرأة السّعيدة هي التي تكون قاعدةً في قعر بيتها، لازمة لمنزلها، لا تكثر من صعودها ونزولها، قليلة الكلام لجيرانها، قليلة الدخول عليهم، تحفظ بعلها في غيبته، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئةٍ رثّة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزةً من أن يسمع غريبٌ صوتها، أو يعرفها بشخصها، لا تتعرّف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكّر على من تظن أنّه يعرفها أو تعرفه، همّها صلاح شأنها، وتدبير بيتها، مقبلةً على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديقٌ لبعلها على الباب، وليس البعل حاضراً لم تستفهم، ولم تعاوده في

---

(1) سورة النساء: آية (34).
(2) لا تسأل عنهم: أي فإنهم من الهالكين.
(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (590) وابن حبان برقم (50) والحاكم برقم (119/1) وأحمد برقم (19/6) والبزار برقم (61/1) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (3058) وفي الصحيحة برقم (542).

الكلام، غيرةً على نفسها وبعلها، فبمثل هذا تكون وتتحقق سعادتك، مع زوجك. فاحرصي على ذلك، ولا تكوني من الذين يسمعون القول فلا يتّبعون أحسنه.

تزيّني لزوجكِ

المرأة هي ملكة الأسرة، كما تقدّم وهي مصباح البيت، إذا قامت بمثل هذا الواجب، فالزّوج يحبُّ أن يرى هذه الملكة وهي زوجته في أحسن وأفضل صورة، جميلة المظهر، مبتسمة الوجه، متعطرة، فإذا دخل عليها بعد عناء التّعب من عمله، زالت عنه همومه بمجرّد ما أن يرى زوجته بهذا المظهر الجميل.

فالزّوجة السّعيدة هي التي تسعى إلى إرضاء زوجها، وإدخال السرور على قلبه إذا جاء بيته فتستقبله متزيّنة متنظفة، لا تبدي تعباً من عملٍ، ولا نفوراً من أمر، متحرّيةً إدخال السرور على قلبه، فتحمل متاعه، وتعينه على نزع ثيابه، وتقدّم ما يلبس في بيته، وذلك مدعاةً لسروره، وسعادته، بامرأته التي كانت حريصةً على إدخال السرور على زوجها، فأين مثل هذه السعيدة؟.

ولله درُّ هذه الأمّ التي أوصت ابنتها عند زواجها، فقالت لها: «أي بنّية! لا تغفلي عن نظافة بدنك، فإنّ نظافته تضيء وجهك، وتُحبّب فيكِ زوجكِ، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوّي جسمك على العمل، فالمرأة التفلة تمجّها الطّباع، وتنبو عنها العيون والأسماع، وإذا قابلت زوجكِ فقابليهِ فرحةً مستبشرة، فإنّ المودّة جسم، روُحه بشاشة الوجه»[1].

(1) كتاب رحمة الإسلام للنساء لمحمد الحامد (ص75).

وأنّ من آفات الزّوجات المدمرات لسعادتهنّ، تلقى زوجها مشغولةً بطبخها الذي تأخرت فيه، بذلة الثيّاب، تعبةً، ضيقة الصدر، غافلةً عن استقبال زوجها بثيابٍ جميلة، ممّا يكون عاملاً أساسيّاً في نفرة الزّوج، وسخطه، فيدخل البيت مستعيذاً من شرّها، وإنّ مثل هذه الزّوجة ارتكبت في حقّ نفسها خطأ قاتلاً، إذ يؤدّي إهمالها في نفسها إلى تصدع، وانهيار الصورة التي رسمها الرجل في فترة الخطوبة عنها، فتتّجه عيونه أو تفكيره للخلاص منها، ومن شرها، وفي هذه الحالة تفقد المرأة زوجها.

أيُّها الزّوجة احرصي على إظهار زينتكِ، وجمالك لزوجك، حتى لو بلغت السبعين من عمرك، لأنّه حقٌّ لا زمٌ عليكِ، وسوف تُسألين عنه يوم القيامة، ويا للأسف من نساء إذا تعدّين سن الأربعين، يمنعها حيائها من التزيّن، وإظهار زينتها وجمالها لزوجها، وهذا الحياء هو حياءٌ مذموم.

لا تفشي أسرار زوجكِ

والأسرار تنقسم إلى ثلاثة أقسام ينبغي على الزّوجيّن حفظها، وقد تقدّم معنا الكلام عن هذا الحقّ، ولكن نبيّن هنا ما لم نذكره هناك، أمّا الأسرار الثّلاثة هي:

1. أسرار الجماع.
2. أسرار الخلاف بين الزّوجيّن.
3. أسرار تخصُّ الرجل.

أمّا أسرار الجماع وهو ما يحدث بين الزّوجين من المعاشرة الجسديّة، فالبوح به وإعلانه للنساء محرّمٌ شرعاً، ولقد حذّر الرسول ﷺ منه، فقال: «لعلّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟» فقالت امرأة: أي والله يا رسول الله إنّهنّ

ليفعلن، وإنّهم ليفعلون! قال: «فلا تفعلوا، فإنّما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانةٍ في طريقٍ فغشيها، والنّاس ينظرون»[1].

أيتها الزّوجة السّعيدة إعلمي أن من حصّنت بالكتمان سرّها، تم لها تدبيرها، وكان لها الظّفر بما تريد، والسلامة من العيب والضرر، والزّوجة الصّالحة هي التي تجعل سرّها في وعاءٍ، لأنّ السر أمانة، وإفشاؤه خيانة، فاتقي الله يا أمة الله، من هذا الفعل المحرّم، ولا تنسي أنّ النبي ﷺ شبّه المرأة التي تفعل ذلك شيطانة، ولا تنسي أيضاً قول النبي ﷺ: «من تشبّه بقومٍ حشر معهم، أو فهو منهم»[2]، فهل ترضين لنفسكِ أن تحشري يوم القيامة مع الشياطين.

وأمّا أسرار الخلاف بين الزّوجيّن، فيجب عليك حفظها، وعدم إفشاءها، لأنّه لا يوجد ولا يخلو بيتٌ من خلافاتٍ بين الزّوجيّن، واعلمي أيضاً أنّه لا يستطيع أحدٌ من الناس حلُّ مثل هذه الخلافات إلا الزّوجيّن، ولا تنسي أيضاً أنّ إفشاء هذه الأسرار، تسبب الأذى النّفسي للزوج وتؤدي إلى انهيار جزءً كبيراً في علاقتك مع الزّوج واعلمي أنّ أية خلافٍ يحدث بينكِ وبين زوجكِ، تستطيعين حلّهُ بسهولةٍ، وبدون جهدٍ كبير، يمكن حلّهُ بابتسامةٌ منك، أو بسلامك على زوجك، أو تبادرين في إرضائه بشتّى الوسائل، ولا تنتظري أن يبدأ هو بذلك.

فعن أنس بن مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «ودودٌ ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمضٍ – أي لا أنام - حتّى ترضى»[3].

---

(1) أخرجه أحمد برقم (456/6) والطبراني في الكبير برقم (162/24) وحسنه الألباني في آداب الزفاف (ص144).
(2) أخرجه أبو داود برقم (4012) وأحمد برقم (50/2) وابن أبي شيبة برقم (322/5) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (6149) وفي الإرواء برقم (1269).
(3) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (170/1) وفي الصغير برقم (46/1) وأبو نعيم برقم (303/4)، والنسائي في عشرة النساء برقم (85/1) وقال الألباني في الصحيحة (287) لا بأس به لشواهده.

ففي الحديث بيان فضيلة المرأة التي تبحث عن إرضاء زوجها، وأنّها تكون من أهل الجنة، فمعنى ودود أي كثيرة التودّد لزوجها، وولود أي منجبةً للأولاد، فبهذا الفعل ينتهي كل خلافٍ كان كبيراً أو صغيراً، فمثل هذه الزّوجة التي إذا غضب عنها زوجها جاءت إليه، وقالت لا أنام حتى ترضى، كم يزيد محبتها في قلب زوجها، وكم من نكدٍ وشقاءٍ تبعدها عن زوجها وبيتها، وذلك لاستقرار حياتهما الزّوجيّة نحو سّعادةٍ مثاليّة.

وأمّا الأسرار التي تخصُّ الزّوج فلا يجب لك أيّتها الزّوجة إفشاءها، ولأنّه عندما أخبرك بسرٍّ له كان ذلك من باب شعوره بأنّه هو وزوجته شركاء في كل شيء، وتدفعه ثقته بكِ لذلك، فلا تخيّبي ثقة زوجك وكوني بئراً لأسراره.

لا تتركي ولا تهجري فراش زوجكِ

إنّ هذا الحقّ مفتاحٌ من مفاتيح سعادة الزّوجة مع زوجها، فإنّ الزّوج إذا أراد قضاء شهوته فليس لزوجته أن تمتنع عليه، إلا إذا كان بها مرضاً شديداً يمنعها من إعطائه هذا الحقّ، أو مثل أن تكون حائضاً أو نفاساً.

والزّوجة التي تترك أو تمتنع أو تهجر فراش زوجها، تتنّزل عليها اللّعنة حتى تزول عنها المعصية التي قامت بها، وهي رفض طلب الزّوج.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه – أي يريدها للجماع –، فأبت أن تجيء، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تُصبح»[1].

(1) أخرجه البخاري برقم (5194) ومسلم برقم (1059) وأحمد برقم (255/2) و (348/2) و (468/2).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا باتت المرأة مُهاجرةً فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» وفي رواية: «حتى ترجع»[1].

أيتّها الزّوجة كيف تكوني سعيدةً وأنت تحت لعنة الملائكة، وما كان ذلك إلا بامتناعك من إعطاء زوجك هذا الحق الواجب عليكِ، فلذلك تبقى المرأة تحت هذه اللعنة من الملائكة حتى تأتي إلى فراش زوجها، حتى لو تركت فراش زوجها شهراً أو شهرين فبهذه الفترة كلّها تكون تحت لعنة الملائكة، حتى ترجع إلى فراش زوجها.

وليس هذا فحسب بل إنّه لا يرفع لها عملٌ إلى الله -عزّ وجل- حتى تُرضي زوجها في هذا الأمر وغيره، فعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا تجاوز صلاتُهم آذانهم: وذكر منهم، وامرأةٌ باتت وزوجها عليها ساخط»[2].

وليس هذا فحسب بل أن زوجته من الحور العين تدعو عليكِ، فعن معاذ ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تُؤذي امرأةٌ زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ الله فإنّما هو عندكِ دخيل[3]، يوشك أن يفارقكِ إلينا»[4].

أيتها الزّوجة إذا كنتِ كذلك فسوف تبقين تحت لعنة الملائكة، ولن يرفع لكِ عملٌ إلى الله، وتبقي أيضاً تحت دعاء زوجته من الحور العين، فكيف ترضين لنفسك هذا المصير وهذا الحال، وتقولين أريد سعادتي مع زوجي.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (5193) ومسلم برقم (1060) وأحمد برقم (439/2) وأبو داود برقم (2141).
(2) أخرجه الترمذي برقم (360) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (3057) وفي المشكاة برقم (1122).
(3) الدخيل: الضيف والنزيل، والمعنى: هو كالضيف عليك، وأنت لست بأهل له حقيقة، وإنما نحن أهله فيفارقك قريبا، ويلحق بنا.
(4) أخرجه الترمذي برقم (1174) وابن ماجة برقم (2014) وأحمد برقم (242/5) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (173).

أيتها الزّوجة المقيمة على الخطايا والعصيان، التاركة لما أمر به الرحمن، إلى متى أنتِ على جُرمكِ مُصرّه، وممّا يُقرِّبّكِ إلى مولاك مُفرّة، تطلبي من الدنيا ما لا تدركيه، وتتقي من الآخرة بما لا تملكيه، فاز والله المُخِفّون من الأوزار، وسلم المتقون من عذاب النار، وأنت مقيمةٌ على كسب الجرائم والأوزار.

لا تخرجي من بيتِ زوجكِ إلا بإذنه

الزّوجة السعيدة هي التي تلزم بيتها، ولا تكثر الخروج منه إلا لشيءٍ ضروريّ، وبإذن زوجها، وسبب ذلك امتثال أمر الله تعالى في قوله: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [1].

أي إلزَمن بيوتكنّ، فلا تخرجن لغير حاجةٍ شرعية. فالزّوجة الملازمة لبيتها لا يجد الشيطان سبيلاً لإحداث الخلاف بينها وبين زوجها، فتعيش معه، ويعيش معها في هناءٍ، وصفاءِ عيشةٍ راضيةٍ، وكل ذلك بسبب لزوم الزّوجة بيتها.

واعلمي أنّ ملازمة النساء للبيوت، باب الخير الذي من دخلته كانت آمنةً على عرضها، ونفسها، ومالها، ودينها، وشرفها، فكانت المثل الأعلى للصّيانة، والعفة، حيث تقوم فيه بواجبها البيتيّ، والزّوجيّ، والدّيني لا يشغلها عنه شاغل، بل تجد فيه متسعاً من الوقت للعكوف على العبادة، وقراءة كتب الدين، والأدب الحقيقي، فتدرك حينئذ لذّة الحياة، وتحسّ بأنّ السعادة حفّت

(1) سورة الأحزاب: آية (33).

بها، وكيف لا تكون كذلك؟ وقد أرضت ربها، وزوجها، بقيامها بما عَهِدَ به إليها، وأيّ سعادةٍ أعظم للمرأة من رضا ربّها؟![1].

وانظري إلى سودة – رضي الله عنها - زوجة النّبي ﷺ عندما سُئِلت مالك لا تحجين، ولا تعتمرين، كما يفعل أخواتكِ؟ فقالت: قد حججتُ، واعتمرتُ، وأمرني الله أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت، فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها[2] الله أكبر ما أعظم امتثالها لربها -عزّ وجل -.

واعلمي أيتها الزّوجة أنّ للزّوج منعك من الخروج من منزله، سواءً أردتِ زيارة والديك، أو عيادتهما، أو حضور جنازة أحدهما[3].

وسبب ذلك أنّ طاعة الزّوج واجبةٌ، والعيادة غير واجبة، فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله -: «إنّ المرأة إذا خرجت من داره بغير إذنه فلا نفقة لها وكسوة»، وقال أيضاً: «لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولا يحل لأحدٍ أن يأخذها، ويحبسها عن زوجها، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزةً عاصيةً لله ورسوله، ومستحقة للعقوبة»[4].

وحتى إذا طُلّقت المرأة طلاقاً رجعي، يجب عليها أن تلزم بيت زوجها حتى تنقضي عدتها، ولا يحل لها أن تخرج منه، ولا يحل لزوجها أن يخرجها.

فاتقي الله أيتها الزّوجة، وابحثي عما يرضي ربكِ وثمّ زوجك، ولا تخرجي من بيتك إلا بإذن زوجك، وإذا خرجت من بيتك لضرورةٍ فعليكِ أن تخرجي في حجابكِ الكامل، الساتر لجميع جسدك، غاضّة بصرك، بعيدةً

(1) كتاب مرآة النساء لكمال الدين الأدهي (ص112).
(2) الدر المنثور للسيوطي (196/5).
(3) ذكره ابن قلامة المقدسي في المغني (213/8).
(4) مجموع الفتاوى (281/32).

عن الأماكن المزدحمة بالناس، واعلمي أنّ الإسلام يريد منكِ أن تكوني في أحسن حالٍ مع نفسكِ، ومع زوجكِ، لتكونِ لك حياةً سعيدةً مع زوجك فلا تنظر لكِ عينٌ، ولا تمتد لكِ يدٍ، إلا عين زوجكِ ويدُ زوجكِ.

لا تنفقي من مال زوجك إلا بإذنه

الزّوجة السعيدة التي يسعدُ بها زوجها أنها لا تنفق من مالهِ إلا بإذنه، وأخذ رأيه ومشورته، وذلك مما زاد سعادته معها.

ولأنّ المرأة أمينةً على مال زوجها، وما يودعه في البيت من نقدٍ أو مؤنةٍ، أو غير ذلك، فلا يجوز لها أن تتصرف فيه بغير رضاه، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجّة الوداع: «لا تنفق امرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها» قيل: يا رسول الله! ولا الطعام؟، قال: «ذاك أفضل أموالنا»[1].

فالمرأة الأمينة الحريصة على سعادتها مع زوجها هي التي لا تتصرّف، ولا تنفق من مال زوجها إلا بإذنه، ولأنّها تسعى في حفظ ماله فلا تُبذّره، ولا تُضيّعه في أمورٍ غير ضرورية. فإذا رأى الزّوج ذلك من المرأة ،ورعايتها لماله ،أحبّها حُبّاً كبيراً لما تقوم به المرأة في حفظ ماله.

والزّوج عندما يخرج إلى وظيفته، وإلى عمله ،ما خرج إلاّ ليُلّبي حاجات زوجته وأولاده وبيته ،وبعد تعبٍ شديدٍ في تحصيل المال وتجميعه، وربُمّا ترك أشياءً كثيرةً يحتاجها الزّوج من ملابس وغيره، من أجل زوجته وأولاده وبيته، وبعد ذلك تأتي المرأة فتتصرّف في ماله كيف شاءت، ومتى شاءت وبتبذيرٍ

(1) أخرجه الترمذي برقم (670) وابن ماجة برقم (2295) والبيهقي برقم (193/4) والبغوي برقم (204/6) وأحمد برقم (267/5) وحسنه الألباني في الترغيب برقم (935).

وتضييع وبغير إذنه فكيف تريد مثل هذه المرأة السعادة مع زوجها وكيف تريد من الزّوج أن يتمسّك بها ،ويبقيها على ذمتّه ،وهي تتصرّف مثل الشّياطين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [1].

واعلمي أنّكِ إذا أنفقتِ من ماله بغير إذنه، فإنّكِ آثمةً ،ويكون له نصف الأجر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف الأجر»[2].

وعلى ذلك يتبيّنُ لكِ أيّتها الزّوجة الباحثة عن سعادتك مع زوجك أنّه لا يجوز لكِ التّصرّف، والإنفاق من مالِ زوجكِ إلاّ بإذنه، وليس هذا فحسب، بل أيّ شيءٍ في بيتك، أو غير ذلك، حتّى تستأذني زوجك في ذلك، فعن عبد الله بن عمرو قال: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يجوز لامرأة عطيةٌ إلاّ بإذن زوجها»[3].

فاتّقي الله أيّتها الزّوجة ولتكن سبيلك في الإنفاق، والإذن سبيلك في العطايا، والصّدقات، وقيدّي هذه النفس بزمام، وازجري هذا القلب عن الآثام، يا من أجلها خلفها، وأملها قُدّامها، يا مقتحمةً على الجرائم أيّ اقتحام، انتبهي يا نائمة، كم ضيعتي من أعوام، فإنّ الدنيا كلُّها منام.

---

(1) سورة الإسراء: آية (27).

(2) أخرجه البخاري برقم (2066) و (5195) و (5360) ومسلم برقم (1026) وأبو داود برقم (1687).

(3) أخرجه أحمد برقم (6681) وأبو داود برقم (3547) والنسائي برقم (65/5) والبيهقي برقم (60/6) والطيالسي برقم (2267) وصححه أحمد شاكر في المسند برقم (17/11).

لا تطالبي زوجك مما وراء الحاجة

الزّوجة السّعيدة هي التي تقدر طاقة زوجها الماليّة، وتقتصد في ماله، فلا تهدره بغير حق، ولا ترهقه بطلباتها غير الضرورية، من متاع الدّنيا، وخاصّةً إذا فاقت إمكاناته، لأنّ ذلك يُزعجه ويؤلمه، ولأنّه لا يستطيع تحقيق هذه المطالب، ويعزّ عليه أن يظهر أمام زوجته بمظهر العاجز الذي لا يملك تنفيذ ما تطلب، فتحدث المشاكل، والنزاعات بين الزّوجيّن، وتكون الزّوجة قد فتحت عليها باباً من أبواب الفشل في حياتها الزّوجيّة.

فعلى الزّوجة الباحثة عن سعادتها، أن تتّخذ زوجات النبي ﷺ قدوةً لها، فتصبر على ضيق العيش مع زوجها، وتعلم أنّ اللّذة الحقيقية هي لّذة الإيمان، ولّذة السعادة في صبرها على ضيق عيشها مع زوجها، لا لذة الأموال والأشياء، فهاهي أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - تقول لعروة بن الزّبير ابن أختها: «يا ابن أخي، إنا كنا ننظر إلى الهلال (أي: الشّهر) ثمّ الهلال ثمّ الهلال، وما أوقدت في بيوت رسول الله ﷺ ناراً؟.

فقال: يا خالة، وما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان: التّمر والماء، إلا أنّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[1]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا»[2].

فعلى الزّوجة السّعيدة أن تصبر على ما هي فيه من ضيق العيش مع زوجها، فإنّها بالصبر تملك وتجلب حُبّ زوجها لها، وتمسكه بها، ولأنّها لا تُطالبه بما فوق حاجته.

فاحرصي أيّتها الزّوجة على ذلك واعلمي أنّ الدنيا دارٌ من لا دار له، ويجمعها من لا عقل له كما قال ﷺ.

---

(1) منائح: جمع منيحة: وهي الشاة والناقة يعطيها صاحبها، يُشرب لبنها، ثم يردها.
(2) أخرجه البخاري برقم (6459) ومسلم برقم (2972).

تحلي بالقناعة والرّضى

التحلّي بالقناعة من صفات الزّوجة السّعيدة التي تصحب زوجها دائماً بالقناعة والرضى بما قسم الله لها من الخير، فلا تتطلّع إلى ما عند الغير من الأموال والأشياء، بل عليها أن ترضى بما قسم لها، لتكن أسعد النّاس في حياتها الزّوجية.

قال الله تعالى: **﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**[1].

وعلى الزّوجة السّعيدة أن تتأسّى بأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن -، فقد كانت حياتهنّ قناعةً ورضا، وربّما خلت بيوتهنّ من الطعام، فعن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - قالت: «ما شبع آل محمّدٍ من خبز الشّعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ»[2].

هذه حياتهن، كانت على القناعة والرضى، ألم يكنّ سعيدات مع رسول الله ﷺ في حياتهنّ، ألم يكنّ مطمئنّاتٌ في حياتهنّ، ألم يكنّ راضياتٌ بما قسم الله لهنّ.

أيتها الزّوجة إذا كنتِ تريدين ذلك فعليكِ أن تنظري إلى ما بيّنه لنا ﷺ من الأمور التي تعيننا على القناعة والرّضا والطمأنينة، حين أمرنا أن ننظر إلى من هو أقلّ منّا عيشاً، وأضيق زرقاً، لأنّ ذلك يبعثنا على شكر النّعمة التي غمرنا الله بها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو

---

(1) سورة طه: آية (131).
(2) أخرجه البخاري برقم (549/9) و (282/11) ومسلم برقم (2970).

أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[1].

إنّ الحصن الحصين لسّعادة الزّوجيّن معاً بالقناعة والرضى والابتعاد عن الطّمع والسّخط، فاحرصي أيتها الزّوجة على ذلك.

اشكري زوجك في كل شيء

إن شكر الزّوجة لزوجها لا يكون في اللّسان فحسب، وإنّما يكون بالعمل أيضاً، وحقيقة هذا الشكر يكون أو يبدو في تعاملها مع زوجها، واعلمي أيضاً أنّ شكركِ لزوجكِ له أنواعٌ كثيرة، فإذا عرفتِ هذه الأنواع ستكوني بإذن الله -عزّ وجل- زوجةً سعيدةً.

وعلى ذلك يجب عليك معرفة هذه الأنواع وأوّلها: أن تشكري زوجك الذي أعانكِ على عفّة نفسكِ بزواجهِ منك، ورُزقت منه الولد، فإيّاك أن تنسي هذا الفضل، ومنها: أن تشكري زوجكِ بإنفاقهِ عليكِ، من كسوةٍ، وطعامٍ، ومسكنٍ، وغير ذلك، ومنها: أن تشكري زوجكِ عندما يأتي لكِ بهدّيةٍ، أو بأيّ شيءٍ تحبيّنه، إلى غير ذلك.

فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه»[2].

ولله درٌّ من قال في صفات الزّوجة الصّالحة، والصّالحة لا تكون إلا سّعيدةً بسبب صلاحها: إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة، وإن قتر عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، تجد زوجها أبداً ناعماً، وجارها

---

(1) أخرجه البخاري برقم (276/11) ومسلم برقم (2963) والترمذي برقم (2515).

(2) أخرجه النسائي برقم (84/1) وفي عشرة النساء برقم (249) والبيهقي برقم (294/7) والحاكم برقم (190/2) والبزار برقم (1460) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (289).

سالماً، وصبيها طاهراً، قد ستر حلمها جهلها، وزين دينها عقلها، فتلك كالريحانة، والنّخلة لمن يجتنبها، وكاللّؤلؤة التي لم تثقب، والمسكة التي لم تفتق، قوّامة، صوّامة، ضاحكة، بسّامة، إن أيسرت شكرت، وإن أعسرت صبرت، فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه[1].

واعلمي أنّ مجرّد تناسي الزّوجة فضل زوجها وجحوده، قد سمّاه رسول الله ﷺ كفراً، وجعله الله سبباً لدخول فاعلته نار جهنّم، لحديث أسماء ابنة زيد الأنصاريّة – رضي الله عنها - قالت: (مرّ بي النّبي ﷺ، وأنا في جوار أترابٍ لي، فسلّم علينا، وقال: «إيّاكُنّ وكفرَ المنعمين»، فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعمين؟ وقال: «لعلّ إحداكنّ تُطولُ أيِّمتُها من أبويها، ثمّ يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيراً قط»[2].

ففي الحديث بيان فشل الزّوجة التي تنكر فضل زوجها وجحوده، ويكون هذا عندما تغضب الزّوجة على زوجها فتقول: ما رأيت منك خيراً قط، في هذه اللحظة عند غضبها تنسى كلّ فضل زوجها، وتجحده، فيكون لها الفشل في الدنيا بأن ابتعدت عن طريق سعادتها، مع زوجها، وأنّ الله بسبب فعلها لا ينظر إليها وتكون من أهل النار إن بقيت على ذلك ولم تتوب.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أنّ رسول الله ﷺ للنّساء: «يا معشر النساء تصدقنّ، فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار»، فقلن: «وبم ذلك يا رسول الله؟»، قال: «تكثرن اللّعن، وتكفرن العشير»[3].

تكثرن اللعن، مثل أن تقول المرأة لولدها: يلعن أبوك أو يلعنك.

---

(1) ذكره الجاحظ في المحاسن (ص143).

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (1048) وأبو داود برقم (2504) والترمذي برقم (117/2) وابن ماجة برقم (7701) والدارمي برقم (277/2) وأحمد برقم (452/6) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (823).

(3) أخرجه البخاري برقم (325/3) ومسلم برقم (132) وابن ماجة برقم (4003) والبيهقي برقم (148/10) وأحمد برقم (5343).

وتكفرن العشير: أي تنكر وتجحد المرأة فضل زوجها. أيّتها الزّوجة لا تكوني ممّن تتناسى وتجحد فضل زوجها فيكون لها هذا المصير، فشلٌ في الدّنيا وعذابٌ في الآخرة، فأحسني إلى زوجك ليحسن الله إليكِ، واسمعي قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [1].

فاتقي الله أيّتها الزّوجة ومثلي نفسك في زاوية من زوايا جهنّم، وأنتِ تبكين أبداً، وأبوابها مغلّقة، وسقوفها مُطبقة، وهي سوداءُ مظلمة، لا رفيق تأنسي به، ولا صديقَ تشكين إليه.

لا تتباهي بالسّمعة الكاذبة وحب الظهور

حبُّ الظّهور، والسّمعة الكاذبة، هي سببٌ لفشل كل زواجٍ في مثل هذا الوقت، وأكثر ما يكون من النساء عندما يجتمعن، ويجلسن مع بعضهنّ في مكان واحد.

فتأتي واحدةٌ منهنّ فتتحدث عن نفسها، وعن فضائلها، وترفع من قدرها، وإن كان لا قدر لها، تحبّ ثناء الأخريات لها، وإن كانت لا تستحقّ ذلك الثّناء، وتسعى في إرضاء المخلوقات من بنات جنسها مع يقينها بغضبِ الله تعالى من حديثها أو عملها.

فهذا عامّة ما يحدث من النّساء، أو الزّوجات الفاشلات البعيدات عن معنى وحقيقة السّعادة الزّوجيّة، والسبب في ذلك أنّ الزوجة التي تبحث عن سعادتها، لا تكون مجالسها كتلك المجالس التي تكون أساسها حبّ الظهور والسمعة الكاذبة.

---

(1) سورة الرحمن: آية (60).

فتـأتي امـرأةٌ مـنهنّ إلى زوجها، فتطلـب منـه مـا لا يسـتطيعه مـن ملابس، وأثـاثٌ للبيـت، وغـير ذلـك مـن أجـل الظهـور الـذي لا قيمـة لـه، فتبـدأ المشـاكل والمشاحنات بين الزوجين، وسببه الزوجة من أجل الظّهور والسّمعة.

فيا أيّتها الزوجة أقول لكِ أنّ حبّ الظهور مرضٌ عظيمٌ يقصم الظهور، فيجب عليك الإسراع في التخلص منه، قبل انهيار بيتك لبنةً لبنة، فالسّعادة الحقيقيّة في تواضعكِ لله، ليس في الظهور والسمعة الكاذبة، فعندما تتواضعين تنالين خيرَ الدنيا، وفوز الآخرة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «ما زاد الله تعالى عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه»[1].

يرفعكِ الله تعالى في الدنيا، فَتَثْبتينَ على الإيمان، وعلى النجاح في حياتك الزوجية وغير ذلك، ويرفعك الله تعالى في الآخرة برفعة درجاتك، وعُلّو مكانتك في جنّته، كل ذلك أيّتها الزوجة بسبب التواضع لله -عزّ وجل -.

أيتها الزوجة، تذكّري يوم تقلبّكِ على المغتسل، قد زال عزُّك عنك، وسُلب مالكِ منكِ، وأُخرجت من بين أحبابك، وجُهزّت لتُرابك، فأُسلمِتِ إلى الدّود، وصرت رهناً للحّود، وبكى عليكِ الباكون قليلاً، ثمّ نسُوك دهراً طويلاً، وكأنك لم تكوني قطّ ممّن رأى ولا نطق.

(1) أخرجه أحمد برقم (386/2) ومسلم برقم (2588) والترمذي برقم (2029).

لا تصومي نفلاً بدون إذن زوجك

اعلمي أيّتها الزّوجة أنّ السبب في ذلك، هو أنّ الإسلام أراد أن تكون علاقتك مع زوجك من أقوى العلاقات، فنهى الزوجة أن تصوم نفلاً بدون إذن زوجها، وذلك لكي يحميها من كل ما يتهدّدها ويدّمر سعادتها.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه»[1].

وسبب هذا التّحريم، أنّ للزوج حقّ الاستمتاع بها في كل وقت، وحقّه واجبٌ على الفور، فلا يفوته بالتطوع، ولا بواجب على التراخي، وإنّما لم يَجُزْ لها الصّوم بغير إذنه، وإذا أراد الاستمتاع بها جاز، ويفسد صومها، لأنّ العادة أنّ المسلم يهاب انتهاك الصّوم بالإفساد، ولا شكّ أنّ الأولى له خلاف ذلك[2].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله -: «عن رجلٍ له زوجة، تصوم النّهار، وتقوم الّليل، وكلما دعاها الرجل إلى فراشه تأبى عليه، وتقدّم صلاة الليل، وصيام النّهار على طاعة الزوج، فهل يجوز ذلك؟ فأجاب – رحمه الله -: لا يحلّ لها ذلك باتّفاق المسلمين، بل يجب عليها أن تُطيعه إذا طلبها إلى الفراش، وذلك فرضٌ واجبٌ عليها، وأمّا قيام الّليل، وصيام النّهار فتطوّع، فكيف تقدّم مؤمنة النّافلة على الفريضة؟»[3].

فلذلك أيتها الزوجة، ما جعل الإسلام تقديم طاعة الزّوج، وتلبية رغبته، وحاجته، على صيام التطوع، إلا لعظم حقه عليكِ ولسعادتكِ مع زوجكِ.

(1) أخرجه البخاري برقم (295/9) والترمذي برقم (150) والدارامي برقم (12/2) وابن ماجة برقم (1761) وأحمد برقم (464/2).
(2) ذكره النووي – رحمه الله- ونقله عنه الحافظ في فتح الباري (296/9).
(3) لابن تيميّة (274/32).

قومي على خدمة زوجك وتدبير منزلك

إنّ تهيئة أسباب المعيشة للزوج، من طبخٍ وكنسٍ وفرشٍ، وتنظيف البيت، سبباً في سعادة الزّوجة مع زوجها، ولأنّها بهذه الخدمة والتّدبير، تدخل الراحة والسّرور على قلب زوجها، فإذا دخل البيت وجده نظيفاً ومرتباً والأولاد بأفضل زينة ونظافة فيحبُّ الزوج المكوث في بيته فترةً أكبر، ووقتٍ طويلٍ في تسلية زوجته وأولاده، وأمّا إذا دخل البيت فوجده على أقبح صورة، والأولاد بأشنع زينة، يدخل في قلبه التّعب والنّكد، وبهذه الحالة لا يُعطي الزوج بيته فترةً أكبر، ووقتٍ طويلٍ في تسلية زوجته وأولاده، ويتمنّى أن لا يعود لبيته، ولا يُجالس زوجته، ولا أولاده، لما يرى البيت وأولاده وأيضاً زوجته على صورةٍ قبيحةٍ جداً، ويجد أيضاً في نفسه أن بيته ليس مكاناً جيداً، ولا زوجته ولا أولاده للراحة والاطمئنان والسّرور، ومن هنا يبدأ النّزاع والخلافات بين الزوجين، والتي كانت سببها الزوجة.

ولذا أيتها الزوجة أقول لك أنّ التي تبحث عن سعادتها مع زوجها، لا يكون هذا فعلها لا مع نفسها ولا مع زوجها، ولك في أسماء زوجة الزّبير – رضي الله عنها - قدوةٌ حسنة، قالت أسماء: «كنت أخدم الزّبير خدمة البيت كلّه، وكان له فرس، وكنت أسُوسه، وكنت أحتشُّ له، وأقوم عليه، وأسقي الماء وأعجن، وأنقل النوى على رأسي من أرضٍ للزّبير على ثلثي فرسخ[1]»[2].

أرأيت أيتها الزوجة ما كانت تعاني أسماء – رضي الله عنها - كل هذا كان لمرضاة الله تعالى وثم مرضاة زوجها، ولتكون سعيدةً مع زوجها.

---

(1) الفرسخ: ثلاثة أميال، وثلثاه: 3.36 كم.
(2) أخرجه أحمد برقم (352/6) و (347/6) وصححه ابن القيم في زاد المعاد برقم (187/5).

قومي على رعاية أطفالك وتربيتهم على الإسلام

اعلمي أيتها الزوجة أنّ الطفل جزءٌ منك، وقطعةٌ من كيانك، يبدأ ذلك من يوم ولادته إلى الكبر، بالقيام في حضانته، ورعايته، وتربيته، تربيةً صحيحةً على الإسلام وتعاليمه العظيمة، فإذا كنتِ كذلك فإنّك ستجني ثمر هذه الحضانة والرّعاية، والتربية في الدّنيا والآخرة.

أمّا في الدنيا فيكون سبباً في راحتكِ أنتِ، وزوجكِ، وفي سعادةٍ لا يعلمها إلا الله، وأما في الآخرة فيكون سبباً في دخولك الجنّة أنتِ، وزوجكِ، لما قمتِ أنتِ في الأساس على رعايته وتربيته على الإسلام.

فعن عمرو بن عبد الله أنّه قال لامرأته عندما كانت ترضع ابناً لها: «لا يكونّ رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه الرّحمة بالرحم، ولكن أرضعيه تتوخّين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاه، عسى أن يوحّد الله ويعبده»[1].

واعلمي أنّ الزّوجة السّعيدة التي تريد سعادتها مع زوجها، عندما تقوم في تربية أولادها يلزمها أن تراعي بعض الأمور لتكون سعيدةً وهي:

أولاً: أن لا تغضب الزّوجة على أولادها أمام زوجها، ولا ترفع صوتها عالياً في مخاطبة أولادها أو زجرهم، ولا تدعو عليهم، ولا تسبهم، أو تضربهم، فإنّ ذلك يُؤذي زوجها، وربّما استجاب الله تعالى دعاءها، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة نيلٍ، فيها عطاء فيستجيب لكم»[2].

---

(1) منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور سويد (ص72).
(2) أخرجه أبو داود برقم (1532) ومسلم برقم (3006) وابن حبان برقم (2411).

ثانياً: أن لا تعترض المرأة على زوجها أثناء تأديبه أولاده وبحضرتهم، فإن كان ولا بد، فلها أن تبدي رأيها في أمور التربية على انفرادٍ به.

ثالثاً: أن تحرص على الصدق مع زوجها، وتصارحه بالحقيقة في أمورها كلها، وأن تعلمه بالأحداث التي تتمّ في غيبته، ولا تتستّر على أخطاء أولادها، والتي يجب معرفة الأب بها.

رابعاً: أن لا تأذن ولا تُعطي ولدها عند غياب أبيه ما منعه منه.

خامساً: أن لا تبدي الزّوجة أمام أبنائها أيّ إشارةٍ رفضٍ، أو ضجرٍ من بعض عادات الأب أو تصرّفاته، وأن تحذر أن تُخطّئ أقواله وأفعاله، أو أن تنتقص منه، أو أن تتظلّم لأولادها منه[1].

فيا أيتها الزوجة عليكِ أن تحذري، وتتقي الله في رعاية أولادك، وتربيتهم على ذلك، لأنّكِ راعيةً ومسؤولةً عن أولادك، فاجعليهم يعيشون بالإسلام وللإسلام، يُكثّر الله تعالى بهم الخير، وإيّاكِ أن تكوني من الأمّهات اللّواتي أهملن أولادهنّ، وتخلّين عن تربيتهم، وصدق من قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همّ الحياة وخلّفاه ذليلاً
إنّ اليتيم هو الذّي تلقى له ... أمّا تخلّت أو أباً مشغولاً

احترمي أقارب زوجكِ

إنّ من الأمور التي تساعد على هدم ودمار العلاقة الزوجية، هي عدم احترام وتقدير الزوجة لأهل وأقارب زوجها، وخصوصاً والديّ زوجها.

فعلى الزّوجة السّعيدة أن لا تنسى منذ البداية، أنّ هذه المرأة التي قد تشعر أنّها منافسة لها في زوجها هي أمّ هذا الزّوج، وأنّه لا يستطيع مهما تبلّد فيه إحساس البرّ أن يقبل إهانة تُوجّه إليها، فإنّها أمّه التي حملته في بطنها

(1) عودة الحجاب لمحمد المقدم (521/2).

تسعة أشهر، وأمدته بالغذاء من لبنها، ووقفت على الاهتمام به حياتها، حتى أصبح رجلاً سوّياً.

والزوجة السعيدة هي التي تحبُّ أهل زوجها من والدٍ أو والدةٍ، كحبّها لأبيها وأمّها، وبذلك يزداد حبّ زوجها لها.

واعلمي أيّتها الزوجة أن زوجك يحبّ أهله أكثر من أهلك، كما أنك أنت أيضاً تحبيّن أهلك أكثر من أهله، فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو انتقاصهم أو أذيته فيهم، أو ذمهّم، فإن ذلك يدعوه إلى النّفرة منك، وأنّ تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريطٌ في احترامه، وإن لم يقابل الزّوج بادئ الأمر بشيء، فلن يسلم حبّه إيّاها من الخدش والنّقص والتّكدير.

وأنّ الرجل الذي يحبّ أهله، ويبر والديه، إنسانٌ صالحٌ فاضلٌ جديرٌ بأن تحترمه زوجته، وترجو فيه الخير.

واعلمي أيّتها الزّوجة أنّ الرّجل الذي لا خير فيه لأبويه، لا يمكن أن يكون فيه خيرٌ لزوجةٍ، ولا ولدٍ، ولا لأحدٍ من النّاس في هذا الوجود، وإنّ موقف الزّوجة الصّالحة في إعانته على البر، كفيلٌ في كثيرٍ من الأحيان في حلّ المشكلة، وتسوية الأزمة، لأنّ الوالدين عندما يشهدان ويلاحظان الحب الصادق، والاحترام، والحنان، من زوجة ابنهما يعطفان عليها وعليه، ويسود الودّ والتّفاهم، والصفاء، جوّ الأسرة كلها.

فيا أيتها الزّوجة العاقلة، الخيرة لماذا لا تكونين عوناً لزوجك على الخير؛ وتوصيه وتحرّضيه على زيادة برّ والديه واحترامهما؟، كما كانت هذه المرأة العابدة التي كانت تصلي بالليل لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: «قُم ويحك! إلى متى تنام؟ قمْ يا غافل قمْ يا بطّال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أنْ لا تدخل النّار من أجلي، برّ أُمك، صل رحمك، لا تقطعهم، فيقطع الله بك»[1].

---

(1) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (437/4).

لا ترفعي صوتكِ على زوجكِ

الزوجة السعيدة هي التي تتدبّر الكلام، وتزنه قبل خروجه، وتعرف حدود الكلام مع زوجها، فهي تناقشه وتجادله ولكن لا ترفع صوتها عليه.

والزوجة التي تحرص حرصاً شديداً على سعادتها وعلى أُنوثتها هي التي تتحلّى بالصّمت عند غضب زوجها، وتطفئ غضبه بحلمها على جهله، وتشعره بخطئه في حقّها من خلال تسامحها وصفحها الجميل.

والزوجة السعيدة يجب عليها أن تعرف أنّ رفع الصوت على الزّوج من شعار الفاجرات، فهل ترضين لنفسك هذا الشعار، واعلمي أنه إذا غضب زوجكِ وكان محقّاً في غضبه فسارعي بالاعتذار، لأنّ المكابرة، وإصراركِ على تبرير خطئكِ يزيده غضباً، وبغضاً لكِ، وقد يوسع فجوة الخلاف، ويجدّد التواتر بينكما، وأمّا رجوعكِ للحقّ واعتذاركِ لزوجك، فهو امتصاصٌ لغضبه، وأمّا إذا كان مخطئاً في غضبه أو ظالماً لكِ فلا تناقشيه في أيّ أمرٍ ساعتها، وعليكِ بتأجيل النّقاش إلى وقت آخر.

واعلمي أنّ الانتصار لنفسكِ لن يتّم عبر رفع صوتك، وردّكِ عليه، بغضبٍ مماثل، فإنّ ذلك من شأنه أن يزيد الطيّن بلّة، واعلمي إذا حدث لكِ ورفعتي صوتكِ في وجه زوجك فيجب عليكِ أن تبكي وتحزني وتندمي وتسارعي في طلب أولاً رضا ربكِ وثم رضا زوجكِ، هذه هي الزوجة التي تعيش أبداً سعيدةً في الدنيا وفي الآخرة.

وقيل لأعرابي: صف لنا شرّ النساء؟ فقال: «شرّهنّ: السلطة البطرة النفرة، السريعة الوثبة، كأنّ لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب، وتدعو على زوجها بالحرب، أنفٌ في السماء، واستٌ في الماء،

عرقوبها حديد، منفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشي السيّئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت.........»[1].

الزوجة السعيدة لا تعرف طريق الكذب

أيّتها الزّوجة كم من بيتٍ بُني على الكذب فكان سبباً في دماره وشقاء من فيه، وكم من بيتٍ بُني على الصّدق فكان سبباً في اعماره وسعادة من فيه.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «إنّ الصّدق يهدي إلى البر، وإن البرّ يهدي إلى الجنّة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقاً، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذّاباً»[2].

فالصدق يهدي إلى البر، أي يوصل صاحبه إلى كل خير، وأعظم خيراً ينتهي إلى الجنّة، والكذب يهدي إلى الفجور، أي يوصل صاحبه إلى كلّ شر، وأعظم شرٍ ينتهي إلى النّار فيا أيتها الزوجة قولي الصّدق مهما كان الثمن، ومهما أغراكِ الكذب بحلاوته، وسهولة النّجاة به من المواقف المحرجة، فإنه مُدمّرٌ للحياة الزوجية السعيدة، لأنّكِ حكمتِ على نفسكِ وعلى زوجكِ بالشّقاء، والخلافات والقلق الدائم.

---

(1) المستطرف للأبشيهي (302/2).
(2) أخرجه البخاري برقم (6094) ومسلم برقم (2606) و (2607).

واحذري أيتها الزوجة من الكذب ولو كنت بقصد المزاح أو لتضحكي الناس، فعن معاوية بن بهز قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له»[1].

واعلمي أيضاً أن الكذب صفة في المنافقين فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - أن النّبيّ ﷺ قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2].

أيتها الزوجة مهما بلغتِ في الكذب، وتماديتي فيه، فسوف يمرُّ وقتٌ يسيرٌ حتى يكشف الله -عزّ وجل - كذبك ويفضح أمرك أمام زوجك أو أمام الناس فيسقط اعتبارك، وتهدر كرامتكِ، فتعيشين في قلقٍ دائمٍ، وفي خلافٍ دائمٍ مع زوجكِ، ومع النّاس لأنّكِ أصبحتِ معدومة الثّقة لدى زوجكِ ولدى النّاس.

فاحرصي على الصدق في أقوالكِ وأعمالكِ، مهما كانت النتائج، وأن بمقدار صدقك مع زوجك فإنك تدخلي على قلبه الطمأنينة، ويثق بجميع كلامك لما عرفه عنكِ من صدقكِ.

واعلمي أنّ الزوجة أو الأمّ الكذّابة يكون أولادها كذّابين، والأُم الصّادقة يكون أولادها صادقين.

---

(1) أخرجه أبو داود برقم (4990) وحسنه الألباني في سنن أبي داود برقم (4175).
(2) أخرجه البخاري برقم (34) ومسلم برقم (58).

لا تخلعي ثيابكِ في غير بيت زوجكِ

اعلمي أيّتها الزّوجة أن الله أمر بالثّياب لكي نستر بها العورات، ولنواري بها السوءات فإذا لم تتقِ الزوجة ربّها، وكشفت عن تلك العورات، برفع تلك الثّياب في غير بيت زوجها، فقد هتكت السّتر الذي بينها وبين الله -عزّ وجل -.

فعن عائشة أمّ المؤمنين – رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيّما امرأةٍ نزعت ثيابها في غير بيت زوجها، فقد هتكت ستراً ما بينها وبين ربّها»[1].

فالجزاء من جنس العمل، هتك الله ستره عليها، لأنّها هتكت الستر الذي بينها وبين الله.

واعلمي أيتها الزوجة أن المرأة التي تعصي الله في مثل هذا الفعل، كيف يرزقها الله -عزّ وجل - السعادة مع زوجها، ولأنّ الله -عزّ وجل - أمرها بأن تحفظ نفسها حرصاً عليها في الوقوع في الشّبهات وخطوات الشيطان، وصون جمالها وزينتها عن غيره من الرجال.

فالزّوجة السّعيدة هي التي لا تكون أداة لإثارةِ الشهوات في الطرقات وغيرها والزّوجة السّعيدة هي التي تكون كالجوهرة المكنونة التي لا تمدُّ لها يد، ولا تنظر لها عين. إلا يد زوجها وعين زوجها.

(1) أخرجه أحمد برقم (24140) والدارمي برقم (2651) وأبو داود برقم (4010) والخطيب في تاريخه (58/3) وأبو يعلى برقم (4390) وإسحاق برقم (1605) وقال شعيب الأرنؤوط في المسند: حديث حسن.

ارتدي حجابكِ ولا تتبرجّي

التبرج هو كل زينةٍ أو تجميل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو في أعين الناس، وهذا ما يحدث في أكثر مجتمعاتنا في مثل هذا العصر ممّا يؤدي إلى انتشار الفتن والمصائب على هذه المرأة المتبرجة وعلى من ينظرون إليها.

واعلمي أيتها الزوجة إن كنتِ من هذا النوع من المتبرجات فإنكِ والله لن تسلمي من الشقاء والتعب والعذاب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقر يضربون بها النّاس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلاتٌ مميلاتٌ، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنّة، ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

ومعنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات من شكرها والمعنى أنّها تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها، ومعنى مائلات: أي عن طاعة الله وما يلزمهنّ حفظه، ومميلات: أي يُعلّمن غيرهنّ فعلهنّ المذموم.

واعلمي أنّ أكثر حالات الطّلاق التي تحدث سببها زينة المرأة وتبرجّها في خارج بيتها، وعدم التزامها بالحجاب الشّرعي، ولأن أكثر النّساء المتزّوجات تكون في أبشع صورةٍ أمام زوجها في بيتها، وإذا خرجت انقلب حالها، فتكون في أجمل صورةٍ، وأحسن حال، ممّا يجعل الزّوج عندما يرى حال زوجته في بيتها وحال زوجته إذا خرجت يتمنّى فراقها والتخلص منها، ولأنّها لم تقم على حفظ جمالها وزينتها له، وإنما ضيّعت جمالها وزينتها لغيره.

(1) أخرجه مسلم برقم (2128) وأحمد برقم (8665) وابن حبان برقم (7461) وأبو يعلى برقم (6690) والبيهقي برقم (234/2) والبغوي برقم (2578) ومالك برقم (913/2).

واعلمي أنّ هذا أول خطرٍ تكونين فيه، هو أن يتخلص منك زوجك بالطلاق والفراق وبعد ذلك اعلمي أن لتبرجكِ وإظهار زينتكِ وعدم التزامك في الحجاب أخطارٌ على الدين والدُّنيا منها: أنّ التبرّج معصيةٌ لله ورسوله ﷺ، وأنّ التبرّج كبيرةٌ موبقة، وأن التبرج يجلب اللّعن والطّرد من رحمة الله، وأنّ التبرج من صفات أهل النّار، وأنّ التبرج سواد وظلمة يوم القيامة، وأنّ التبرج نفاق، وأن التبرّج فاحشة، وأن التبرج تهتّكٌ وفضيحة، وأنّ التبرج سّنةٌ إبليسّية، وأنّ التبرج من سنن اليهود والنصارى، وأنّ التبرج شر مستطير في الدنيا والآخرة.

فمن كان هذا حالها فكيف يرزقها الله عز وجل سعادة الدنيا والآخرة.

أيتها الزوجة إن السعادة تتحقق لك في الدنيا والآخرة، إذا أقلعتِ عن التبرج، وسارعي إلى الحجاب الشّرعي، فإليكِ الشروط الثمانية للحجاب الشّرعي:

1. استيعاب جميع البدن مع الوجه والكفين.
2. ألاّ يكون زينةً في نفسه.
3. أن يكون سميكاً بحيث لا يشفٍّ ما تحته.
4. أن يكون فضفاضاً غير ضيّق.
5. ألاّ يكون عليه طيباً أو بخوراً.
6. ألاّ يشبه لباس الرّجال.
7. ألاّ يشبه لباس الكافرات.
8. ألاّ يكون لباس الشّهرة[1].

(1) للمزيد من المعلومات عليك بقراءة كتابي وهو تحت الطبع أختاه أين تذهبين الحجاب أو النار.

تجنّبي الغيرة المذمومة

الزوجة السعيدة تتجنب الغيرة المذمومة في حياتها، حتى لا يموت حبها في قلب زوجها، وتبدأ الخلافات والمنّغصات في حياتهما الزوجية.

وهناك نساءٌ يغرن على أزواجهن من أولادهن من هؤلاء الأزواج إذا حبُوهم بكثير من وقتهم وعطفهم، واعلمي أنّ سبب فشل كثير من الزوجات مع أزواجهنّ بسبب هذا النوع من الغيرة، غير أنّ منها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود.

فالغيرة المذمومة هي تلك التي تتأجّج في صدر صاحبتها ناراً تُشعِل جيوش الظنّون والشّكوك كل آن، فتحوّل حياة الأسرة جحيماً لا يطاق بسبب هذه الغيرة المذمومة المدمّرة.

ولذلك أوصى عبد الله بن جعفر – رحمه الله - ابنته في ليلة زفافها قائلاً لها:

(إيّاكِ والغيرة فإنّها مفتاح الطلاق، وإيّاكِ وكثرة العتب، فإنّه يورث البغضاء)[1].

فالزوجة التي تقع في مثل هذه الغيرة المدمرة فإنّه يولّد في قلبها الخوف الدّائم وتكون نهايتها إلى الفشل أي الطلاق.

وأمّا الغيرة المحموده: هي التي لا تتسلط على صاحبتها وتكون أيضاً إذا انتُهكت محارم الله تعالى لحديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يغار، وإنّ المؤمن يغار، وإنّ غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله عليه»[2].

---

(1) المنتظم لابن الجوزي (215/7).
(2) أخرجه البخاري برقم (281/9) ومسلم برقم (2761) والترمذي برقم (1168).

فإذا انتهك الزوج محارم الله، هنا من باب أولى أن تغار الزوجة خوفاً على زوجها، وهي علامة حُبّها له أما أن تغار الزوجة إذا رأت زوجها يلاعبُ أولادها أو أن تغار إذا رأت زوجها يلبس أفضل الثّياب، فهذه الغيرة المدمرة المليئة بالشّكوك والظنّون يجب أن يكون لها نهاية إمّا بالابتعاد عنها لحياةٍ زوجيّةٍ سعيدةٍ، وإما بدمار هذه العلاقة الزوجية بالطلاق فاحرصي أيتها الزوجة على هذا النوع من أنواع مفاتيح السعادة والله الموفق.

وصايا ثمينة للزوجة السّعيدة في الدّنيا والآخرة

اعلمي أنّ هذه الوصايا هي آخر ما سأذكره لكِ لتنالي سعادةً ما بعدها شقاء وتعب.

1. أكثري من إرضاء زوجكِ بطاعتك له، فبمقدار طاعتكِ لزوجكِ، بمقدار ما يشعر بمحبّتك، ويسارع إلى إرضائكِ.
2. لا تجعلي زوجك يراكِ على حالٍ لا تسّره، فالزّوجة الذكيّة هي التي تجعل السعادة تلّوح بين عيني زوجها بمجرد أن تقع نظراته عليها.
3. تخيّري الوقت المناسب، والطّريقة المناسبة التي بها تتعاملين مع الخطأ الذي وقع فيه زوجكِ.
4. كوني متّسعة الصّدر، فلا تذكري السّلبيات التي تبدر من زوجكِ لغيرك.
5. بكل ما لديكِ من ذكاءٍ وفطنةٍ وحبٍّ لزوجك عالجي أخطاءه، ولا تحاولي أن تجرحي أحاسيسه.
6. لا تصدّقي أقاويل الغير في زوجكِ وعليكِ أن تحسني الظّن فيه.

7. عليكِ أمام زوجك بالأفعال التي يحبّها، وبالأقوال التي يرغب دائماً في سماعها.
8. ذكّريه إذا مرض أحد والديه، أو أقاربه بأنّه ينبغي لكما أن تقوما بعيادته سويّاً، لا بمفرده هو.
9. لا تظهري أي تبرمٍ إذا حدثت له ضائقةٌ ماليّة، وذكّريه بما جاءك على يديه من الخَير الكثير.
10. حاولي أن تضحكي إذا ضحك، وأن تبكي وتحزني إذا بكى أو حزن فإنّ مبادلة نفس الشعور تولّد المحبّة.
11. لا تكثري من تذكيره أنك قد طلبتِ منه الشّيء الفلانيّ دائماً، بل لا تذكّيره إلا إذا علمت أنّه يسرُّ إذ ذُكر.
12. إيّاكِ وتكرار الأخطاء، أو الوقوع في المواقف التي تعلمين أنّ زوجكِ يكرهها.
13. لا تقدّمي رأيكِ على رأيه في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، ولتكن محبّتكِ له هي التي تجعلك تقدّمين رأيه في أغلب المواقف.
14. احفظي ما يقصّه عليكِ من أسرار، ولا تفشي به، ولو لأمك أو أبيك، فإن ذلك يوغر صدره عليك.
15. احذري أن تذكّريه في أي نقاش أنّكِ صاحبة شهادة كذا أو كذا، فإنّ ذلك يجلب لك كراهية.
16. احذري مغادرة البيت مهما اشتّد سوء الخصام، أو النّقاش بينكِ وبينه، فإنّ ذلك يقوّي في نفسه الاستغناء عنكِ ولو بعد حين.
17. اقبلي عذره إذا ألغى موعداً للخروج معك، لأنّه أضطرّ إلى قبول دعوةٍ أتته في آخر لحظة.
18. ابتعدي نهائياً عن الكذب على زوجك، فإنّ ذلك يؤلمه ألماً شديداً.

19. ذكّري زوجك دائماً أنّكِ لا تعرفين ماذا كنت ستفعلين لو لم يتزوّجك.

20. اخلصي لله تعالى في السّر والعلانية، واحذري الرياء في أقوالكِ وأفعالكِ.

21. عليكِ بالاستسلام لأحكام دينك، وإيّاكِ أن تنظري إلى الأمور بعقلك.

22. كوني مطيعة لزوجك إن كان لك زوج، فلا تردّي له أيّ طلب ما لم يكن معصية.

23. كوني بارّة لوالديكِ بالإحسان إليهما، كفّ الأذى عنهما، والعمل على إدخال السرور إلى قلبيهما.

24. كوني سبّاقة في عمل الخير، مسارعة في البعد عن الشّر، مكثرة من الذكر والصدقة.

25. عليكِ بالإحسان إلى جاراتكِ بالقولِ والفعلِ، فلا ترى منكِ إلا المعروف.

26. كوني محافظةً على الصلاة لوقتها، ومحافظةً على قراءة القرآن العظيم.

27. عليكِ بالعناية بأولادك بتعويدهم على الصدق وسلامة القول، والعمل.

28. إيّاكِ والغيبة والنّميمة، والخوض في أعراضِ المسلمين.

29. لا تحتقري غيرك من المسلمات، فالكبيرة منهنّ أفضل منكِ، لأنّها عبدت الله أكثر منك لأنّها ولدت من قبلكِ، والصّغيرة منهنّ أفضل منك لأنّها لم تعص مثلكِ.

30. احذري الجزع والسخط عند البلاء، وكوني صابرةً محتسبةً للأجر والثّواب.

31. استعديّ للموت قبل مجيئه، فإنّ الموت يأتي بغتةً.

32. أحبِّي للمسلمات ما تُحبيّه لنفسكِ وأهل بيتكِ، واكرهي لهنّ ما تكرهي لنفسكِ وأهلكِ تصلين إلى كمال الإيمان، ومحبّة الرّحمن سبحانه وتعالى[1].

هذه هي بعض حقوق الزّوج على زوجته، ولتكون الزوجة واقفةً عند كلّ حقٍّ من هذه الحقوق مسارعةً في تطبيقها والعمل بها، ولتكون بإذن الواّحد الأحد سعيدة في الدُّنيا والآخرة، وأمّا حقوق الزّوجة على زوجها وهي على ما يلي:

عاشر زوجتك بالمعروف

اعلم أيُّها الزوج أنّ العشرة بالمعروف تُؤدّي إلى الاستقرار، والوفاق، والتّعاون والتآلف، ومما يُعين أيضاً على تماسك أركان البيت ويجعل الأبناء يعيشون في جوٍّ عائليٍّ مستقر. وتنفيذاً لقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾[2].

والعشرة هي المخالطة بالمعروف وأن يُطيّب الرّجل أقواله لها، وأن يُحسّن أفعاله معها، كما يحبُّ الرجل ذلك منها، وإذا رأى الرّجل سوء خلقٍ من زوجته فكره ذلك منها فليصبر عليها، ولا يُفارقها لكراهة الأنفس وحدها فلعلّ لك أيها الزّوج فيما تكره يكون لك خيراً كثيراً .

(1) أدب المعاشرة الزوجية لمجدي فتحي السيّد (ص 215- 219) بتصريف.
(2) سورة النساء: آية (19).

وقد قال ابن الجوزي – رحمه الله -: (وقد ندبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبهت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصّلاح، فرُبّ مكروهٍ عاد محموداً، ومحموداً عاد مذموماً. والثّاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب)[1].

ومما يدلّ على هذا الغرض قوله ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خُلقاً، رضي منها آخر – أو قال - غيره»[2].

ففي الحديث بيان أنْ لا يُبغض الرّجل زوجته، لأنّه إن وجد فيها خُلقاً يُكره، وجد فيها خُلقاً مرضيّاً، بأن تكون شرسة الخلق لكنّها دينة، أو جميلة، أو عفيفة، أو رفيقة به، أو نحو ذلك[3].

وعن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المرأة خُلقت من ضلع، وإنّكَ إن تُرد إقامة الضّلع تكسرها، فدارها، تعِشْ بها»[4].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - (يؤخذ من الحديث أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدّت ما طُبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أو ترك الواجب، وإنما يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة، وفيه أيضاً رمز إلى التّقويم برفق، بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمرّ على عوجه[5].

أيها الزّوج اعلم أنّ الرّجل الكريم صاحب الخلق القويم يغضّ عن الشيء اليسير، فكم من رجلٍ كره امرأةً فأنجبت له أولاداً إكراماً قاموا بنفعه،

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي (42/2).
(2) أخرجه مسلم برقم (1469) وأحمد برقم (8363) وأبو يعلى برقم (6418) والبيهقي برقم (295/7).
(3) ذكره النووي – رحمه الله- في صحيح مسلم (58/10).
(4) أخرجه أحمد برقم (8/5) وابن حبان برقم (1308) والحاكم برقم (174/4) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (163/2).
(5) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (206/9- 207).

وكم من رجل فُتن بمحبة امرأةٍ فأفسدت عليه دينه، ودنياه، وأهله، وخلقه، واعلم أنّ الإسلام رفع حسن الخلق إلى أعلى المقامات مع الخلق كافّة، بل خصّ النّساء بذلك، وجعل حسن الخلق معهنّ معيار الخيريّة والفضل، لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[1].

واعلم أيُّها الزّوج لتكون سعيداً مع زوجتك أنّ الزوجة أمانةٌ، ووديعةً يسلمها وليُّها لمن يحافظ عليها، ويتّقي الله فيها، ويحسن صحبتها، وأختم بهذه القصة التي يلزمك أن تتدّبرها وتفتح لك طريقاً أو باباً من أبواب السّعادة.

قال ابن القيّم الجوزية – رحمه الله -: (تزوّج رجلٌ بامرأة، فلمّا دخلت عليه رأى بها الجدري، فقال: اشتكيت عيني، ثمّ قال: عميت، فبعد عشرين سنة ماتت، ولم تعلم أنّه بصير، فقيل له في ذلك، فقال: كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها، فقيل له: سبقت الفتيان)[2].

لاطف زوجتك بأفضل الكلام

اعلم أيّها الزّوج أن الملاطفة، ورقّة المعاملة مع الزّوجة أساسٌ، لاجتماع القلوب، ويكفي أنّها ترضي الله وتدخل صاحبها الجنّة فعن أنس ﷺ قال: قال رجل للنبي ﷺ: علّمني عملاً يُدخلني الجنة قال ﷺ: «أطعم الطّعام، وأفش السّلام، وأطب الكلام، وصلّ باللّيل والنّاس نِيام»[3].

(1) أخرجه الترمذي برقم (217) وأحمد برقم (250/2) وابن حبان برقم (1311) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (284).
(2) ذكره في مدارج السالكين (342/2).
(3) أخرجه البيهقي برقم (158/10) وابن حبان برقم (642) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (1019) وفي الصحيحة برقم (569) و (1466) وفي الإرواء برقم (777).

فيا أيها الزوج اعلم أنّه كم ضاعت علينا في حياتنا العائليّة فرصُ سعادةٍ وغنىً وأنس، كنا على مقربةٍ منها لو قلنا كلمةً حلوةً، ولكنّا أضعناها عندما لم نلق بالكلمة الطيبة، إنّ كلمةً واحدةً تستطيع أن تفعل شيئاً كبيراً، فبسبب كلمةٍ قامت حروب، وبسبب كلمة تآلفت قلوب، وهل أعظم من تآلف قلوب الزوجين.

واعلم أنّ الكلمة الطيبة أساس متين تُبنى عليه علاقات الحبّ والمودّة والرحمة والتربية، إن الكلمة الطيبة تُهيّئ المناخ المناسب لنحو هذه العلاقات ولتثمر الثمرة المرجوة سعادة وفرحاً وابتهاجاً وانطلاقاً وتحقيقاً لكثير من معاني الخير والسّعادة. وإن الكلمة الطيبة أغلى عند الزوجة في كثيرٍ من الأحيان من الحلي الثمين، والثّوب الفاخر الجديد، ذلك لأن العاطفة المحببة التي تبثّها الكلمة الطيبة غذاء الروح، فكما أنّه لا حياة للبدن بلا طعام، فكذلك لا حياة للرّوح بلا كلام حلوٌ لطيف. لماذا نهمل الكلمة الطيّبة في نطاق الحياة الزوجيّةِ، وهي لا تكلفنا شيئاً؟ إن السعادة كلها ربما كانت كامنةً في كلمةٍ فيها مجاملةً ومؤانسةً يقولها أحد الزوجين لصاحبه أو الوالد لابنه.

واعلم أنّ الخطأ الذي يقوم في حياتنا الزّوجيّة مبنّي على فهم خاطئٍ لفكرة رفع الكلفة حتى إنّ كثيراً من الناس ليقع في الأغلاط المدّمرة لحياته الزّوجيّة بحجة رفع الكلفة، يقول أحدهم: إن زوجتي ولدت لي ولدين أو ثلاثة أو أربعة، فلم نعد عروسين نحتاج إلى الملاطفة والمجاملة أو الكلمة الطيبة اللطيفة، قد مضى وقت ذلك، إنّ هذا خطأ فادح يجرّ ذيول التعاسة والشقاء على عش الزوجية، وقد يدمر بناء الأسرة ويقضي على نفسية الأولاد. إن تجاهل حاجة الزوجة إلى العاطفة العذبة التي تفيض بها الكلمة الطيبة، يجعلها تحمل

بـين جوانبها حجـراً مكـان القلـب ممـا يعكـر علـى الـزوج حياتـه لأنّنـا نعـيش بالمعاني لا بالأجساد فقط[1].

فاحرص أيها الزوج من التّغافل في هـذا البـاب في ملاطفة الزوجة بأفضل الكلام لتفتح عليك باباً من أبواب السّعادة الذي يغفله كثيرٌ من الناس.

تحمل أخطاء زوجتك

اعلم أنّ الزّوج السّعيد هو الذي يتحمّل أخطاء وهفوات زوجته إذا كانت هذه الأخطاء بعيدةً عن دين الله -عزّ وجل -، ولأنّ الزّوج السعيد الباحث عن سعادة، لا يقف أمام كُلّ تصرف تفعله زوجته ويدمر سعادته وبيته بسببه، فيجب على الزوج أن يتحلّى بسعة الصدر، وطول الفكر، وعدم التسرع.

ويجب أن يعلم الزوج أنّ المرأة خُلقت من ضلعٍ اعوج – كما تقدّم - ويجب أن يكون الزوج المريد لسعادته أن يكون منّفذاً لوصية النبي ﷺ. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنّساء فإنّ المرأة خلقت من ضلع، وإنّ اعوج شيء في الضلّع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنّساء خيراً»[2].

قوله ﷺ وإنّ اعوج شيء في الضلّع أعلاه، فيه إشارة إلى أنّها خُلقت من اعوجٍ آخر، الضلع مبالغةً في إثبات هذه الصّفة لهنّ، أو ضربه مثلاً لأعلى المرأة لأنّ أعلاها رأسها، وفيه لسانها، وهو الذي يحصل به ومنه الأذى. فبعدّ ما بيّن ﷺ كررّ قوله في الوصيّة بالنّساء فقال: استوصوا بالنّساء خيراً، وذلك لقبول الوصيّة والمعنى: أوصيكم بهنّ خيراً، فاقبلوا وصيتي فيهنّ، فإنّهنّ خلقن من ضلع اعوج، فلا يأتي الانتفاع بهنّ إلا بأن يُداريها، ويلاطفها، ويوفيها حقوقها.

---

(1) عودة الحجاب لمحمد المقدم (2/416- 417).

(2) أخرجه البخاري برقم (5186) ومسلم برقم (1468) والبيهقي برقم (7/295) وابن أبي شيبة برقم (5/276).

اعلم أيّها الزوج أنّه لولا الابتلاءات والمصائب والأمراض، لجئنا يوم القيامة مفاليس، فاصبر على ما أصابك واستعن بالله ولا تعجز، وعليك بسعة الصدر، وعدم التّسرّع، فكل ذلك في صالحك، قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»[1].

لا تضرب زوجتك

قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾[2].

اعلم أيها الزوج أنّ الآية أفادت أنّ للزوج الحقّ في تأديب زوجته عند عصيانها أمره، ونشوزها عليه، تأديباً يُراعي فيه التدريج، الذي قد يصل إلى الضرب بشروطه.

والنّشوز هو العصيان والمعنى: أي تخافون عصيانهنّ وتعاليهنّ عمّا أوجب الله عليهنّ من طاعة الأزواج.

واعلم أنّ محل الضرب إنّما يكون في حالة التّأديب إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى بالتّهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادّة لحسن العشرة المطلوبة في الزوجيّة، إلا إذا كان في أمرٍ يتعلّق بمعصية الله تعالى[3] فضرب النساء، وإن كان مباحاً لما ساء خلقها، وقبّح أدبها، فالتحمل والصبر على سوء أخلاقهنّ وترك الضرب أفضل وأجمل.

---

(1) أخرجه أحمد برقم (1481) وابن حبان برقم (2900) والدارمي برقم (2783) والبزار برقم (1155) والحاكم برقم (41/1) والبيهقي برقم (372/3) وقال شعيب في المسند: إسناده حسن.
(2) سورة النساء: آية (34).
(3) ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (303/9).

واعلم أنّه إذا وقع من الزوجة وظهر منها العصيان لزوجها فليبدأ الزوج بالتأديب المرتّب في الآية الكريمة السابقة، وهي (الوعظ) بلا هجر ولا ضرب، لقوله تعالى: ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ أي بكتاب الله، فذكروهنّ ما أوجب الله عليهنّ من حسن الصحبة، وجميل العشرة للزوج، ويقول لها برفق ولين، ويذكّرها بالموت والقبر يوم الحساب، ويبيّن لها أنّ النّشوز يستوجب الترّقي إلى عقوبةٍ أعلى، ويسقط النّفقة، فلعلّها بعد ذلك تبدي عذراً.

فإن لم ينفع الوعظ والتّذكير بالرّفق واللّين فلينتقل إلى (الهجر في المضجع) لقوله تعالى: ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ وذلك بأن يولّيها ظهره في المضجع، أو ينفرد عنها بالفراش، لكن ينبغي ألا يبلغ بالهجر في المضجع أربعة أشهر وهي المدّة التي ضرب الله أجلاً عُذراً للمولي، وينبغي أن يقصد من الهجر التأديب والاستصلاح، لا التشفّي والانتقام. فإن لم ينفع الهجر في المضجع، فلينتقل إلى (الضّرب) لقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.

قال ابن عبّاس – رضي الله عنهما - «اهجرها في المضجع، فإن أقبلت، وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح» واعلم أنّ جواز الضّرب مقيّد بشروط منها: أن تصرّ على النّشوز والعصيان، ومنها: أن يراعي المقصود من الضرب العلاج، والتأديب والزّجر لا غير، ومنها: أن يتجنّب المواضع المخوّفة كالرأس والبطن وكذلك الوجه وكذلك لا يكسر عظماً، ولا يُشين عضواً، ولا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

واعلم أيها الزوج لحياةٍ وعشرةٍ سعيدةٍ أن الأولى ترك الضّرب مع بقاء الرخصة فيه بشروطه المذكورة مُسبقاً لحديث النّبيّ ﷺ: «لا تضربوا إماء الله.....»[1].

---

(1) أخرجه ابن ماجة برقم (1985) وأبو داود برقم (2146) والدارمي برقم (147/2) وابن حبان برقم (316) والبيهقي برقم (304/7) والحاكم برقم (188/2) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7360).

وقال ابن الجوزي – رحمه الله -: (وليعلم الإنسان أنّ من لا ينفع فيه الوعيد والتّهديد، لا يردعه السّوط، وربما كان اللطف أنجح من الضرب، فإن الضرب يزيد قلب المعرض إعراضاً، وفي الحديث: «ألا يستحيّ أحدكم أن يجلد امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها فاللّطف أولى إذا نفع»[1].

فاحرص أيها الزوج على فنّ التّعامل مع الزّوجة في هذا الباب بحذرٍ شديدٍ، وفكر طويل، وقبل وقوع أيّة كارثة تكون حاجزاً ومانعاً لسعادتك، وسعادة زوجتك.

الزّوج السّعيد الذي يغار على زوجته في حدود الشّرع

الزّوج السّعيد هو الّذي يتّصف بالغيرة على زوجته في حدود الشّرع، وبعيداً عن التّخوين وسوء الظّن، والشّكوك المدمّرة بين الزّوجين. وحقيقة حبّ الرّجل لزوجته عندما يغار عليها ويحفظها من كلّ ما يلمّ بها من أذى في نظرة أو كلمة، فلا يليق بالرّجل أن يجعلها مضغةً في الأفواه، تلوكها الألسنة، وتقتحمها الأعين.

وإنّ من آثار تكريم الإسلام للمرأة ما غرسه في نفوس الرّجال من الغيرة الّتي تدفع الرّجل لصيانة المرأة عن كلّ مُحرّم مُشينٍ وعار.

واعلم أنّه ليست الغيرة تعني سوء الظّن بالمرأة، والتّفتيش عنها وراء كلّ جريمةٍ دون ريبة، ومتى ما تحيّن الرّجل الفرص ليأخذ امرأته على غرّه، إلتماساً لعثرةٍ منها بدون أيّ ريبة كانت، هذه غيرةٌ مذمومة، قال رسول الله ﷺ: «إنّ من الغيرة غيرةٌ يبغضها الله، وهي غيرة الرّجل على أهله من غير ريبة»[2].

---

(1) أحكام النساء لابن الجوزي (ص82).

(2) أخرجه أبو داود برقم (2659) وابن حبان برقم (1313) والدارمي برقم (149/2) والبيهقي برقم (308/7) وأحمد برقم (245/5) وحسنه الألباني في الإرواء برقم (1999).

واعلم أيضاً أنّ الغيرة على النّساء عدّهُ الإسلام جهاداً يبذل من أجله الدم ويضحّي في سبيله بالنّفس، ويجازي فاعله بدرجة الشّهيد في الجنّة. قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[1].

والغيرة في أصلها صفةٌ محمودة، وقد اتّصف الله تعالى بتلك الصفة على ما يليق به، فهو سبحانه ليس كمثله شيءٌ في صفاته.

فعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يغار، وإنّ المؤمن يغار، وإنّ غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله عليه»[2].

وضدّ الغيورْ، الديُّوث، وهو الذي يقرّ الخبث في أهله، أو يشتغل بالقيادة، والدّيّوث الذي لا غيرة له على أهل بيته، والدّيّوث أيضاً هو الذي يُدخل الرّجال على حرمته بحيث يراهم، واعلم أنّه ورد وجاء الوعيد الشّديد في حقّه فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظر الله عزّ وجل - إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المترجلّة، والدّيّوث»[3].

إنّ حياة الغيرة الّتي يحياها المجتمع المسلم، والّتي يسمو بها فوق النّجوم رفعةً، ويرتقي بها إلى أعلى المنازل فضلاً وطهراً، يقابلها في المجتمعات الكافرة في الشّرق والغرب حياةَ الدياثة، والخباثة، والقذارة، والحقارة، واللّواثة، والنّجاسة، والذلّة والمهانة، التي قد تترفّع عنها بعض الحيوانات، حيث تغار فحولها على إناثها[4]، وتأمّل هذه القِصّة التي يرويها عمرو بن ميمون

---

(1) أخرجه الترمذي برقم (1418) وأبو داود برقم (4772) والنسائي برقم (115/7) وابن ماجة برقم (2580) وأحمد برقم (1628).
(2) أخرجه البخاري برقم (5223) ومسلم برقم (2761) والترمذي برقم (1168) وأحمد برقم (387/2).
(3) أخرجه أحمد برقم (6180) والنسائي برقم (357) وابن خزيمة برقم (235) وابن حبان برقم (56) وصححه أحمد شاكر في المسند.
(4) عودة الحجاب لمحمد المقدم (121/3).

الأودي ﷺ قال: «رأيت في الجاهليّة قردة اجتمعوا على قردةٌ قد زنت، فرجموها، فرجمتها معهم»[1].

فاستقباح الزّنا، والغيرة على العرض فطر الله سبحانه عليه هذا الحيوان البهيم الّذي لا عقل له!.

فليتّقِ الله -عز وجل- كل رجلٍ له عقلٌ في أن يصون زوجته ويغار عليها، ولكن بحدود الشّرع ليعفي نفسه من المسؤوليّة والوعيد الشّديد.

اصبر على جفاء زوجتك

الصبر على جفاء الزّوجة والتّغاضي وعدم تعقّب الأمور صغيرها وكبيرها، وعدم التوبيخ والتعنيف في كلّ شيء، إلاّ في حقوق الله عزّ وجلِ سببٌ لاستمرار الحياة الزوجية وعدم انهيارها.

فعن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمةٍ ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدّهم في ذلك غضباً، وما خُيّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً»[2].

وقد وصفت أعرابيّة زوجها عندما مات فقالت: (والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج، سكوتاً إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير سائلٍ عمّا فقد)[3].

اعلم أنّ الزّوج السّعيد لا يكون سعيداً إلاّ إذا اتّصف بهذه الصفة الطيبة عندما يجد الجفاء في أفعال زوجته أو في أقوالها، والسبب قد تقدم معنا، أنّ المرأة خلقت من ضلعٍ اعوج. واعلم أنّ الواحد منا كم يجد جفاء صديقه أو

(1) أخرجه البخاري برقم (121/7).
(2) أخرجه البخاري برقم (419/6) وأبو داود برقم (4785).
(3) الإحياء للغزالي (724/4).

المسؤول في عمله ووظيفته فيصبر على ذلك بحجة الرزق، وربما تعرّض لإهانة من بعض الناس فصبر على ذلك. فمن باب أولى أيّها الرجل الصبر على جفاء زوجتك وأمّ عيالك، والبحث عن الأسباب التي تفكّ جفاء زوجتك. مثل الدعاء لها في الصلاة، أو تغيير التعامل الذي بسببه جعل هذا الجفاء، أو إكرامها بالهديّة فإنّ النّبيّ ﷺ قال: «تهادوا تحابّوا» فإنّ الهدية سببٌ لجلب المحبّة للزوجة وإن بقيت على حالها وجفاءها، فزد لها في الدعاء في صلاتك، وزد لها في الإكرام بجلب الهدايا التي تُحبّها. وإليك أيُّها الزوج حلاًّ جذرياً شاملاً وهو الابتعاد عن المعاصي، فإن الابتعاد عن المعاصي سببٌ لزوال كل جفاءٍ من زوجتك، وهذا ما أشار إليه أحد الصحابة ﷺ عندما قال: (والله إنّي لأعصي الله في النهار فأجد ذلك في خلق زوجتي ودابّتي) فبسبب هذه المعاصي يتغير خُلُق الزوجة، فيصبح خلقها سيّئ، فاحرص أيها الزوج على إبعاد كل ما يسبب لك القلق والمشاكل في حياتك الزوجيّة.

أطعم زوجتك وأكسوها من الحلال

اعلم أيها الزوج أنّ هذا الباب بابٌ مهمٌّ في سعادتك مع زوجتك، وأنّ الزوج هو المسؤول الوحيد في الأسرة، في إطعامهم وكسوتهم من الحلال. وسائر ما تحتاج إليه الزوجة لإقامة مهجتها، وقوام بدنها، وقد أخبر الله تعالى أنّ الرجال هم المنفقون على النّساء، ولذلك كانت لهم القوامة والفضل عليهنّ، بسبب الإنفاق عليهنّ فقال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [1].

(1) سورة النساء: آية (34).

فعن جابر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجّة الوداع: «اتّقوا الله في النّساء فإنّهنّ عندكم عوان، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، ولهنّ عليكم رزقهنّ، وكسوتهنّ بالمعروف»[1].

فالرجل هو الذي ينفق من ماله على امرأته، وإذا قصّر في القيام بهذا الحقّ فإنّه آثم، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء إثماً أن يُضيّع من يقوت»[2]. يريد من يلزمه قوته، وفيه بيانٌ للزوج أنه ليس له أن يتصدّق بما لا يفضل عن قوت أهله يلتمس به الثواب، فإنّه ينقلب إثماً.

وينبغي على الرجل أن يطعمها وأولادها حلالاً لا إثم فيه، ولا شبهه، فإن طلب الحلال فرضُ عين، فعن كعب بن عُجرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يا كعب ابن عجرة! إنه لا يدخل الجنة لحمٌ ودمٌ نبتا على سُحتٍ، النار أولى به»[3].

ولهذا كانت الزوجة من الصحابة تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله: (اتقِ الله، وإيّاك والكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضّر، ولا نصبر على النار)[4].

فاحرص أيّها الّزوج على الإنفاق على زوجتك وأولادك، لتكون بعيداً عن الإثم، قريباً من الأجر، مالكاً لسعادتك مع زوجتك وأولادك.

---

(1) أخرجه مسلم برقم (1218) وأحمد برقم (313/3) وابن حبان برقم (9/3) وابن خزيمة برقم (2809).
(2) أخرجه مسلم برقم (996) وأبو داود برقم (1692) والبيهقي برقم (467/7) وأحمد برقم (160/2).
(3) أخرجه أحمد برقم (399/3) وابن حبان برقم (261) والدارمي برقم (318/2) وصححه الألباني في الترغيب برقم (861).
(4) الإحياء للغزالي (748/1).

علّم زوجتك أمور الدّين

وذلك بأن يعلّمها أحكام العبادات، ويحضّها على القيام بها، خاصّةً الصّلاة في أول الوقت، وشروطها، وأركانها، ومبطلاتها، ومكروهاتها، وسائر العبادات، وحقوق الله تعالى عليها، وحقوق الزوجيّة، وأن يُعلّمها مكارم الأخلاق، من وقاية القلب من أمراض الحسد والبغضاء، ووقاية اللّسان من الغيبة والنميمة، والسّب والكذب، ويراقبها في ذلك كلّه ما استطاع إلى المراقبة سبيلاً.

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

قال علي بن أبي طالب ﷺ في تفسير هذه الآية: (علّموا أنفسكم وأهليكم الخير، وأدّبوهم)[2]، وقال قتادة: «أن يأمرهم بطاعة الله تعالى، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله تعالى، يأمرهم به، ويُساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها»[3].

وكذلك على الزوج أن يخبر أهله بوقت الصلاة، ووجوب الصيام قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرئ قام من الليل، فصلّى، فأيقظ أهله، فإن لم تقم رشّ وجهها بالماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي، وأيقظت زوجها، فإذا لم يقم رشّت على وجهه من الماء»[4].

وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث ﷺ قال: (أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنّا اشتهينا أهلينا، فسألنا عمن

---

(1) سورة التحريم: آية (6).
(2) الدر المنثور (244/6).
(3) تفسير الطبري (166/28).
(4) أخرجه أبو داود برقم (1308) والنسائي برقم (205/3) وابن ماجة برقم (1336) وابن حبان برقم (646) والحاكم برقم (309/1) وأحمد برقم (250/2) و (436/2) وقال النووي في فيض القدير (26/4) إسناده صحيح.

تركنا في أهلينا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أُصلي»[1].

أيها الزوج، هكذا كان اعتناء الصّحابة – رضي الله عنهم - بهذه التربية، أنهم كانوا حريصين على متانة الروابط بينهم وبين من يؤدبون أولادهم، فكانوا يحزنون إذا غابوا عن الأولاد فترةً لسببٍ من الأسباب، لخوفهم على أولادهم أن لا يؤدّبوا على ما يريدون ويشتهون، واعلم أن الله أثنى على نبيّه إسماعيل عليه السلام فيما أثنى بقوله: **﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾** [2].

فلذلك أيها الزوج إذا كنت تريد أن يثنى الله عليك فافعل ما كان يفعله إسماعيل عليه السلام لتكون سعيداً مع زوجتك، وأولادك المتديّنين، الملتزمين بأوامر الله تعالى. فالزوجة عندما تتعامل مع زوجها وأولادها تتعامل معهم بما يُرضي الله -عز وجل - والسبب في ذلك عندما قام الزوج بتعليم وترغيب زوجته وأولاده ووقايتهم من النّار ومن عذاب الجبار.

ويا للأسف في كثير من الناس عندما سمعوا هذه الآية: **﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾**[3]. أصبح تفكير كثير من الناس على جسد الأولاد على أرواحهم، فإذا برد الجسد أدفأه، وإذا مرض الجسد عالجوه، وإذا جاع الجسد أطعموه، فأصبحت حياتهم كلّها في صيانة الجسد ونسوا صيانة الرّوح، فالواجب عليك أيّها الزوج صيانة أرواح أولادك، وزوجتك، بالعبادات والطّاعات، فهذا هو غذاء الرّوح وثم صيانة أجساد أولادك وزوجتك، بما هو واجبٌ عليك، من كسوتهم وغذائهم وغير ذلك.

فاحرص على ذلك لتملك لنفسك سعادة الدّنيا والآخرة.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (183) ومسلم برقم (292) والنسائي برقم (9/2) والدارمي برقم (286) وأحمد برقم (426/3).
(2) سورة مريم: آية (55).
(3) سورة التحريم: آية (6).

انس زلّة زوجتك وأقبل اعتذارها

اعلم أيها الزوج، من منّا معصومٌ عن الخطأ؟، بل إنّنا جميعاً نقع في الأخطاء ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانية، فعن أنس بن مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التّوابون»[1].

ورحم الله الحسن بن علي، إذ كان يقول: لو أنّ رجلاً شتمني في أُذني هذه، واعتذر إليّ في أُذني هذه، لقبلت عذره[2].

وقال أبو قلابة – رحمه الله -: إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه، فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل لعل له عذراً لا أعلمه[3].

أيّها الزّوج الباحث عن السعادة، إنّ أحدنا لتمرّ عليه فترات لا يرضى فيها عن نفسه، ولكنّه يتحمل نفسه، ويتعلّل بما يحضره من المعاذير فليكن هذا هو شأنك مع زوجتك ومع النّاس، وما أعظم وأجمل قول أبي الدّرداء ﷺ لزوجته: (إذا رأيتني غضبت، فرضّني، وإذا رأيتُك غضبى راضيتك، وإلا لم نصطحب).

فالزوج السّعيد هو الّذي يقبل عذر زوجته، وينسى زللها، فيرى من ودّها الشّيء الكثير.

فلذلك أيّها الزوج عليك بالّصبر الجميل، والحلم الجزيل والتؤدة، والتأنّي، وتلقّي القضاء بالرّضا، والصّبر على ما أصابك، وأن تسأل عالم السر والنجوى، هداية زوجتك وإصلاح حالها، وليكن آخر ما تفكّر فيه أمر الطلاق، فإنّ آخر الدّواء الكي.

---

(1) أخرجه الترمذي برقم (2501) وابن ماجة برقم (4251) والدارمي برقم (303/2) وأحمد برقم (198/3) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (171/4).

(2) روضة العقلاء لابن حبان (ص 184).

(3) روضة العقلاء لابن حبان (ص 184).

الزّوج السّعيد يلهو ويُمازح زوجته بغير باطل

اعلم أنّ الزوج عندما يقوم بمؤانسة زوجته، وملاعبتها، والسّعي في ممازحتها بغير باطل، وإدخال السّرور إلى قلبها، وذلك حتّى ترفرف السّعادة على دارهما، وتسكن الأفراح في حياتها، وتجمع المودّة بينهما.

فعن عقبة بن عامر ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «كلّ شيءٍ يلهو به الرجل فهو باطل، إلاّ تأديبه فرسه، ورميه بقوسه، وملاعبته أهله»(1).

واعلم أن للمؤمن أسوةٌ وقدوةٌ في الرّسول ﷺ المثل الكامل، والأسوة الحسنة، للرجال في عِشرةِ النّساء، فلقد كان ألين النّاس بهنّ، وأشفق النّاس عليهنّ.

فعن عائشة – رضي الله عنها - قالت: (كنت ألعب باللُّعب، عند رسول الله ﷺ، وكانت تأتني صواحبى، قالت: فإذا دخل رسول الله ﷺ فررن منه، فيأخذهنّ رسول الله ﷺ، فيرُدهنّ إليّ)(2).

وقال ابن حجر العسقلاني – رحمه الله - في هذا الخبر (وهذا مثلُ يوضّح معنى من معاني الدّعابة مع الأهل، وذلك بشرط ألاّ يكون فيه إفراط، أو مداومة عليه، لما فيه من الشغل عن ذكر الله، والتفكّر في مهّمات الدّين، ويئول إلى قسوة القلب، والإيذاء والحقد، وسقوط المهابة والوقار، والذي يَسْلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل: تطييب نفس المخاطب ومؤانسته، فهو مستحب)(3).

وتقول عائشة – رضي الله عنها - خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «تقدّموا»

---

(1) أخرجه أبو داود برقم (2496) والترمذي برقم (1688) وابن ماجة برقم (2811) والنسائي برقم (222/6) والدارمي برقم (205/2) وأحمد برقم (146/4).
(2) أخرجه البخاري برقم (6130) والبغوي في شرح السنة برقم (2336).
(3) ذكره في فتح الباري (527/10).

فتقدّموا ، ثمّ قال: «تعالى حتى أسابقكِ» فسابقته فسبقته، فسكت عنّي حتّى حملت اللحم، وبدنت وسمنت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للنّاس: «تقدّموا»، ثمّ قال: «تعالى أسابقكِ فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك»[1].

اعلم أيّها الزوج أنّ هذا الحديث يوضّح لنا المزاح في حياة خير زوجين، الرسّول ﷺ، وعائشة – رضي الله عنها - أليس في ذلك دعوة إلى كل زوج إلى المرح مع زوجته، والمزاح مع زوجته، فما بالنا نجد أزواجاً قد حوّلوا بيوتهم إلى بيوت العبس والكآبة، فاحذر أيّها الزوج من تضييع هذا الباب الّذي إن ضيّعته، وأهملت به، تحوّلت حياتك وحياة زوجتك إلى الكآبة.

احترم رأي زوجتك وخذ بنصحها ومشورتها

اعلم أيّها الزوج أنّه لا معنى لرفض رأي المرأة العاقلة الفاضلة، وطرح مشورتها، لمجرد كونها امرأة، كما يفعل الكثير من النّاس، إعتماداً على أحاديث موضوعة، ولا أصل لها في الدّين مثل: (شاوروهنّ، وخالفوهنّ) ومثل: (طاعة المرأة ندامة)، فهذه الروايات لا أصل لها في الإسلام، وهذا ما اعتاده مجتمعنا من تسفيه آراء الزّوجات، وتحقير وتغيير كلّ رجلٍ يثبُت أنّه يأخذ بنصح أو مشورةِ زوجته.

فيا أيّها الزوج هل أنت أفضل من رسول الله ﷺ لا أعتقد، فقد أخذ رسول الله ﷺ برأي أمّ سلمة يوم الحديبية، فكان في ذلك سلامة المسلمين من الإثم، ونجاتهم من عاقبة المخالفة، كما جاء في بعض الروايات: (فجلّى الله عنهم يومئذ بأمّ سلمة)، وذلك حين امتنع الصحابة – رضي الله عنهم - من أن

---

(1) أخرجه أحمد برقم (39/6) وأبو داود برقم (2578) وابن ماجة برقم (1979) والنسائي برقم (56) وابن حبان برقم (4672).

ينحـروا هـديهم، فأشـارت عليـه أمّ سـلمة – رضـي الله عنهـا - أن يخـرج، ولا يكلّم أحداً منهم كلمةً حتى ينحر بدنة، ويحلّق، ففعل ﷺ.

فلمّـا رأى أصـحابه ذلـك قـاموا فنحـروا، ففـي هـذا الحـديث أنّـه ﷺ قبـل مشورة أمّ سلمة رضي الله عنها[1].

وكـذا قبـل صـالح مـدين مشـورة ابنتـه في اسـتئجار موسـى -عليـه وعلـى نبيّنا الصلاة والسلام - .

ما الذي يمنعك أيّها الـزوج أن تشـاور زوجتـك في أمـور الحيـاة خاصـةً فيمـا يتعلّـق بمسـتقبلكما، وحياتكمـا، ولمـاذا دائمـاً يطالِـب الـزّوج زوجتـه بتغـيير قناعاتها حتى لو كانت صحيحة؟

إنّ الرجل الباحث عن سعادته مع زوجته لا يفعل هذا الفعل، بل إنّـه يأخـذ برأيهـا، وبمشـورتها، ولا يخالفهـا في الحـقّ، كمـا فعـل نبيّنـا ﷺ مـع زوجتـه أمّ سلمة رضي الله عنها.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (332/5).

قصص الصابرين والصابرات

وما يستفاد منها للنساء ورجال المسلمين

الحث على الصبر في القرآن الكريم

قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً، وهانحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع:

أحدها الأمر به كقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [1] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [2]

(الثاني): النهي عما يضاده كقوله ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [3] وقوله ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ [4].

وقوله: ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [5] وبالجملة فكل ما نهى فإنه يضاد الصبر المأمور به.

(الثالث): تعليق الفلاح به كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [6] فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور (الرابع): الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره كقوله ﴿ أُوْلَـئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [7] وقوله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [8] قال سليمان بن القاسم (كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر) قال كالماء المنهمر (الخامس): تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ

---

(1) سورة النحل (127).
(2) سورة الطور (48).
(3) سورة الأحقاف (35).
(4) سورة آل عمران (139).
(5) سورة القلم (48).
(6) سورة آل عمران (200).
(7) سورة القصص (54).
(8) سورة الزمر (10).

﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [1] فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

(السادس): ظفرهم بمعية الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [2] قال أبو الدقاق: "فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته" (السابع): أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [3] وقال بعض السلف وقد عزي على مصيبة نالته فقال مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها.

(الثامن): أنه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة وأمر بالاستعانة به فقال: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [4] فمن لا صبر له لا عون له (التاسع): أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [5] لهذا قال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر» (العاشر): أنه سبحانه جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك جنة أعظم منهما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ (الحادي عشر): أنه سبحانه

---

(1) سورة السجدة (24).
(2) سورة البقرة (153).
(3) سورة البقرة (155-157).
(4) سورة البقرة (45).
(5) سورة آل عمران (120).

أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم كمال قال: ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1] .

(الثاني عشر): أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[2] . فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب (الثالث عشر): أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [3] وهؤلاء ثنية الله من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح كما لا تنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما.

الحث على الصبر في السنة النبوية

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها: فقال لها: « اتقِ الله واصبري» فقالت: وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك فقال: « إنما الصبر عند أول صدمة» [4] .

(1) سورة الرعد (23- 24).
(2) سورة النحل (126).
(3) سورة هود (11).
(4) أخرجه البخاري برقم (7154) ومسلم (15/2) وأبو داود (3124) وأحمد برقم (143/3) والترمذي (988/3) والنسائي (22/4).

عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله خيراً منها»[1] .

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول: إبنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» [2] .

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» [3] .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» [4] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[5] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً قال: فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً « قال: أجل إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: أن لك لأجرين قال: نعم والذي نفسي

---

(1) أخرجه مسلم (3/2) وابن ماجه (1598) ومالك في الموطأ (42/1) وأحمد (309/6).

(2) أخرجه الترمذي (102/103) وأحمد (4/ ص 415) وابن حبان (726- موارد الظمآن)، وحسنه الألباني في الصحيحة (1408) وفي الترغيب (2012).

(3) أخرجه البخاري (5640/10) ومسلم (49/4) وأحمد (6/ ص 88).

(4) أخرجه البخاري (5640/10) ومسلم (49/4) وأحمد (6/ ص 88).

(5) أخرجه البخاري (5641/10-5642) ومسلم (52/4) وأحمد (2/ص 303).

بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة ورقها» [1] .

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول ﷺ وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» [2] .

الحث على الصبر في الآثار عن الصحابة والتابعين

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن السفر قال: "مرض أبو بكر ﷺ فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد".

قال عمر بن الخطاب ﷺ «وجدنا خير عيشنا بالصبر».

وقال علي ﷺ «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس بار الجسم ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له وقال: الصبر مطية لا تكبو».

وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده».

---

(1) أخرجه أحمد (2ص/287) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح وعزاه للترمذي والحاكم.
(2) أخرجه البخاري (3612/6) وأبو داود (2649/3) وأحمد (5/ ص110).

وقال عمر بن عبد العزيز «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعوضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه».

وقال ميمون بن مهران: «ما نال أحد شيئاً من ختم الخبير فما وله إلا بالصبر».

وقيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً.

قال سعيد بن جبير: «الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر».

قصة صبر يوسف عليه السلام

عن رجل من أهل الكوفة قال:

إن جبريل عليه السلام دخل على يوسف السجن فقال له: يا طيب ما الذي أدخلك ههنا؟.

قال: أنت أعلم.

قال: أفلا أعلمك كلمات الفرج؟.

قال: بلى.

قال: قل: اللهم يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غائباً غير مغلوب اجعل لي من أمري هذا مخرجاً ارزقني من حيث لا أحتسب [1].

(1) الفرج بعد الشدة / للتنوخي (258/1).

قصة صبر يعقوب عليه السلام

عن يحيى بن سليم قال: بلغني أن ملك الموت استأذن ربه عز وجل أن يُسلم على يعقوب عليه السلام فأذن له، فأتاه: فسلم عليه.

فقال له يعقوب: بالذي خلقك أقبضت روح يوسف؟.

قال: لا ولكني أعلمك كلمات لا تسأل الله بهن شيئاً إلا أعطاك قال: ما هي؟.

قال: قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه غيره.

فقالها، فما طلع الفجر من غده حتى أتاه البشير بالقميص [1] .

قصة صبر رسول الله ﷺ على المرض

يروي أبو سعيد الخدري ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك[2] فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فقلت: يا رسول الله ما أشدها عليك؟!.

قال ﷺ: « إنا كذلك يضعّف لنا البلاء، ويضعّف لنا الأجر».

قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء) قلت: حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء[3] .

---

(1) الفرج بعد الشدة / للتنوخي (254/1).

(2) يوعك: الوعك الحمى وقيل: ألمها.

(3) أخرجه ابن ماجة (4024) والحاكم (307/4) وصححه وأقرّه الذهبي وإسناده صحيح.

قصة صبر الرسول ﷺ يوم العقبة

عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟.

قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل فلم يجبني فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلما كنت بموضع كذا رفعت رأسي فإذا أنا قد أظلتني سحابة فنظرت فإذا بها جبريل متدانياً فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلّم علي ثم قال: يا محمد. إن الله عز وجل قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين[1] فقلت: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم[2] من يعبد الله لا شريك له [3].

قصة صبر الرسول ﷺ على الغيرة بين النساء

تروى عائشة – رضي الله عنها - فتقول: أرسل الرسول ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مِرطي[4] فأذن لها. فقالت: يا رسول الله: إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ:

"أي بنية ألست تحبين ما أحب؟".

(1) الأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله.
(2) الصلب: عظم من لدن الكاهل إلى عضو الذنب والجمع أصلاب والصلب في حقيقة الظهر.
(3) أخرجه البخاري (139/4) (140/4) ومسلم (154-155).
(4) مرطي: كساء يكون تارة من خز وتارة من صوف.

فقالت: بلى.

قال: "فأحبي هذه" يعني عائشة.

فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول ﷺ فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك[1] العدل في ابنة أبي قحافة [2] . فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً.

قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني[3] منهن في المنزلة عند رسول ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى ما عدا سورة من حدة [4] كانت فيها تسرع منها الفيئة [5] .

قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها فأذن لها رسول الله. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة.

قالت: ثم وقعت بي[6] فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها؟. قالت عائشة: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر.

قالت فلما وقعت بها لم أنشبها[7] حين أنحيت[8] وأثخنتها غلبة[1] فقال رسول الله ﷺ: « إنها ابنة أبي قحافة [2]» [3].

---

(1) ينشدنك: يسألنك.
(2) العدل في ابنة أبي قحافة: معناه يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب.
(3) تساميني: تعادلني. وتضاهيني في الخطوة والمنزلة الرفيعة مأخوذ من السمو وهو الارتفاع.
(4) سورة من حدةٍ السورة: الثوران، وعجلة الغضب والحدة: شدة الخلق وثورانه: وغلبة الغضب.
(5) الفيئة: الرجوع.
(6) أي: نالت مني بالوقيعة في.
(7) لم انشبها: لم أمهلها.
(8) أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

قصة صبر نساء النبوة على شدة المعيشة

يقول أبو هريرة – ﷺ - جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود[4] فأرسل إلى بعض نسائه فقالت:

والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.

فقال النبي ﷺ: "من يضيف هذا الليلة رحمه الله"؟.

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله[5] فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني!!.

قال: فعلليهم[6] بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج تطفئينه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف. فلما أصبح غدا على النبي ﷺ: فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» [7] .

قصة صبر الرسول ﷺ على الجوع

عن أبي هريرة – ﷺ - قال:

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة"؟.

قالا: الجوع يا رسول الله.

---

(1) أثخنتها: قمعتها وقهرتها.

(2) في هذه العبارة إشارة إلى حال فهم عائشة وحسن نظرتها.

(3) حديث صحيح: أخرجه البخاري (2581) ومسلم (2442) وأحمد (150/6) والنسائي (67/7) وعبد الرزاق (20925) في مصنفه والبيهقي (299/7) في سننه الكبرى.

(4) مجهود: أي أصابني الجهد. وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

(5) رحل الشخص: مأواه في الحضر ثم أطلق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه.

(6) أي أشغليهم بشيء غير هذا الطعام.

(7) أخرجه البخاري (42/5) ومسلم (2054) والبيهقي (185/4).

قال: وأنا والذي نفسي بيده لقد أخرجني الذي أخرجكما، قوما" فقاما معه. فأتو رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ "أين فلان". قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله. ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني.

قال: فانطلق فجاءهم بعرق[1] فيه بُسر – وتمر، ورطب، فقال: كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله:

« إياك والحلوب[2] » فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العرق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله لأبي بكر وعمر: "والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم النعيم"[3].

الصابر المريض يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه

عن أبي الأشعث الصنعاني أنه زاح إلى مسجد دمشق – وهجر بالرواح فلقى شداد بن أوس الأنصاري والصنابحي معه.

قلت: أين تريدان رحمكما الله؟ قالا: نريد ههنا إلى أخ لنا مريض نعُوده فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة وفضل.

---

(1) العرق: بكسر العين وهو الغض من النخل والعرق من التمر بمنزلة العنقود من العنب وإنما أتى بهذا العرق الملون يكون أطرف وليجمعوا بين كل الأنواع فقد يطيب لبعضهم هذا ولبعضهم هذا وفيه دليل على استحباب تقديم أكل الفاكهة على الخبز واللحم والأمر فيه سعة.

(2) الحلوب: ذات اللبن.

(3) أخرجه مسلم (2038) وابن جرير (185/30) في تفسيره.

فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات، وحط الخطايا إني سمعت رسول يقول: "إن الله عز وجل يقول: إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على ما ابتليته به فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الله عز وجل للحفظة: إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له مثل ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح"[1].

صبر عمر بن الخطاب ﷺ على الابتلاء

يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول: لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر وأنا غلام فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر فما ذاك[2] ؟!.

فأنا له جار[3].

قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه[4] فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل[5] فقال عمر: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر قال: فغدا عليه قال ابن عمر: فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت دين محمد؟!.

قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألَا إن عمر بن الخطاب قد صبأ.

---

(1) أخرجه أحمد (123/4) والطبراني (1097) في مسند الشاميين وبرقم (7136) في الكبير وفي الأوسط كما في المجمع (2/303-304) وأبو نعيم (9/309-310) في الحلية، وهو حسن.

(2) فما ذاك: أي فلا بأس أو لا قتل أو لا يعترض له.

(3) أناله جار: أي أجرته من أن يظلمهُ ظالم.

(4) تصدعوا عنه: تفرقوا عنه.

(5) أخرجه البخاري (3864) (3865) والبيهقي (221/2).

قال: ويقول عمر من خلفه: كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلح[1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها أو لتركتموها لنا قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة. وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا صبأ عمر فقال: فمه؟! رجل اختار لنفسه أمراً، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه [2].

قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك.

فقال: ذلك أي بني: العاص بن وائل السهمي [3].

وقال علي بن أبي طالب – ﷺ – ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر مختفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هاجر تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً واختصر عنزته[4] ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم:

شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه أو يُيّتم زوجه فليلقني وراء هذا الوادي[5].

(1) طلح: أعيا وقعد من التعب والكلال.
(2) أي نزع عنه شبه ابتعادهم عنه مرة واحدة بنزع الثوب عن الجسد جملة.
(3) أخرجه ابن إسحاق (334) كما في السيرة ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (27،28/52) وابن الأثير (150/4) في أسد الغابة، وهو صحيح.
(4) عنزته: العنزة عصاً في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح وقيل: هي أطول من العصا، وأقصر من الرمح.
(5) أخرجه ابن عساكر (45/52) في تاريخه وابن الأثير (152/4) في أسد الغابة وهو حسن.

ذو النورين ودعاء النبوة له بالصبر

قال عليه الصلاة والسلام:

« يا عثمان إن الله لعله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم» ، وفي رواية أخرى « يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك الناس أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه»[1] .

"يقمصك": بتشديد الميم، أي يلبسك قميصا أراد به الخلافة وهو من أحسن الاستعارات.

"فإن أرادوك على خلعه" أن حملوك على نزعه "فلا تخلعه لهم" أي إن قصدوا عزلك عن الخلافة فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحق وكونهم على الباطل[2] .

ولهذا الحديث أبى ذو النورين - ﷺ - عزل نفسه حين حاصره الأفاكون الخوارج يوم الدار حتى قتل شهيداً - ﷺ - فكان من الصابرين الذين استشهدوا في سبيل الحق.

وهذا الحديث يعد من مناقب ذي النورين عثمان - ﷺ - للبشارة بتوليه الخلافة وأنه على الحق المبين عند ظهور المنافقين.

صبر سالم مولى أبي حذيفة

عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة بن عبثة وكان معه لواء المهاجرين فقال حينئذ:

---

(1) أخرجه أحمد (86/75/6) والترمذي (3789) وابن ماجه (112) وابن أبي شيبة (49/12) وابن أبي عاصم (1172) في السنة والحاكم (99/3، 100) وابن حبان (3876) وهو حديث صحيح.

(2) نقلا عن تحفة الأحوذي (200/10) للمبار كفوري.

بئس حامل القرآن أنا – يعني إن فررت - فقطعت يمينه فأخذه بيساره فاعتنقه إلى أن صرع فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه؟.

قيل: قتل. قال فأضجعوني بجنبه وبه رمق – أي بقية حياة فقلنا: أسقيك ماءاً؟ فقال: جرني قليلاً إلى العدو[1] واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته ومات على حالته ولم يشرب الماء فأرسل عمر ميراثه إلى مولاته بثينة [2] .

صبر ابن عباس عند وفاة ابنته

ذكر عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما - أنه نعي إليه ابنة له وهو في السفر فاسترجع ثم قال:

عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله إلى ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به[3] قال: ﴿ **اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ** ﴾ [4] .

صبر بلال بن رباح رضي الله عنه

قال ابن إسحاق رحمه الله:

ثم إنهم عدوا[5] على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع

---

(1) يعني جهة العدو.
(2) الإحياء (71/4) للغزالي، وإتحاف السادة (57/11) للزبيدي.
(3) انظر: تنبيه الغافلين (ص /206) للسمرقندي.
(4) سورة البقرة (156).
(5) عدوا: تعدوا على من أسلم وتجاوزوا الحد في ظلمهم.

والعطش وبرمضاء[1] مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا فهم يفتنونهم عن دينهم.

فمنهم من يفتت من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب ومنهم من يعصمه الله منهم وكان بلال لبعض بني جمح وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له:

لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد. أحد [2].

صبر خباب بن الأرت ﷺ

عن الشعبي رحمه الله قال: دخل خباب بن الأرت ﷺ على عمر بن الخطاب ﷺ فأجلسه على متكئه فقال:

ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد .

قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال بن رباح.

فقال خباب: ما هو أحق مني: إن بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد يمنعني فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص [3].

---

(1) الرمضاء: الأرض أو الحجارة التي حميت من شدة حر الشمس.

(2) خبر صحيح: أخرجه ابن سعد (232/3) في طبقاته والحاكم (284/3) وصححه وأقره الذهبي وأخرجه أبو نعيم (149/1) في الحلية وابن عبد البر (48/3) في الاستيعاب والبيهقي (282/2) في الدلائل.

(3) خبر حسن: أخرجه ابن سعد (117/3) في الطبقات الكبرى وأبو نعيم (144/10) في الحلية.

قصة صبر أبي سعيد الخدري ﷺ

قال هلال بن حصن:

أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أن أصبح ذات يوم وليس عنده طعام وأصبح قد عصب على بطنه حجراً من الجوع قال:

فقالت امرأتي ائت النبي ﷺ فسله فقد أتاه فلان فأعطاه فانتهيت إلى الرسول الله وهو يخطب ويقول:

من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئاً فوجدنا أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا؟؟[1] قال: فرجعت وما سألت شيئاً فرزقنا الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا.

صبر أبي عمرو الأنصاري

عن محمد بن الحنفية يرحمه الله قال: رأيت أبا عمرو الأنصاري ﷺ وكان بدرياً عقبياً ممن شهد بيعة العقبة أحدياً وهو صائم يتلوى من العطش وهو يقول لغلامه: ويحك ترسني. فترسه الغلام حتى نزع بسهمٍ نزعاً ضعيفاً حتى رمى بثلاثة أسهم[2] .

---

(1) حديث صحيح: أخرجه أحمد (44/15) بلفظه وبنحوه أخرجه البخاري (1469) (6470) ومسلم (1053) وأبو داود (1644) والترمذي (2093) والنسائي (95/5) وأحمد (9/3/3، 12) وابن حبان (170/5).
(2) أخرجه الحاكم (395/3) والطبراني كما في الترغيب (404/2) للمنذري.

الصبر على الجراح في سبيل الله

عن أبي السائب ﷺ أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال:

شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين – فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي - أو قال لي:أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله! مالنا من دابة نركبها وما لنا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه فكان إذا غلب حملته عقبة[1] ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون [2] .

صبر عبد الله بن عمرو على العبادة

قال عبد الله بن عمرو زوجني أبي امرأة من قريش فلما دخلت عليها جعلت لا أنحاش[3] لها مما بي من القوة على العبادة من الصلاة والصوم.

فجاء عمرو بن العاص إلى كنته[4] فقال: كيف بعلك؟ قالت: خير الرجل لم يفتش لنا كنفاً [5] ولم يعرف لنا فراشاً فأقبل علي فعذلني[6] وقال أنكحتك امرأة من قريش فعضلتها[7] ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني فقال لي: أتصوم النهار؟ قلت: نعم، قال: وتقوم الليل؟ قلت: نعم، قال: ولكن أنا أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.

---

(1) العقبة: المرقى الصعب من الجبال.

(2) أخرجه ابن اسحاق كما في السيرة (1186) لابن هشام.

(3) أنحاش: يقال انحاش عنه ومنه: ابتعد فلان لا ينحاش من شيء لا يكترث له.

(4) الكنه: امرأة الابن، والجمع: كنائن.

(5) كنفاً: ستراً.

(6) فعذلني: قام بالعتاب له واللوم.

(7) عضلتها: منعتها حقها من المعاشرة.

قال: ثم كان يقول بعد ذلك لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إلي مما عدل به لكني فارقته على أمرٍ أكره أن أخالفه إلى غيره [1].

صبر بعض الصالحين على فقد المال

يروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوماً إلى السوق فساوم شيئاً من الطعام وكانت في كشحه صرة فيها دراهم فأراد أن يرفع لصاحب الطعام منها فضرب عليها بيده فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كشحه.

فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني[2]، فهذا من الصبر على المصيبة وعدم إظهار الجزع.

تعزّي برسول الله ﷺ

ذكر الحافظ ابن عساكر: قال إبراهيم بن خالد:

كتب محمد بن إدريس الشافعي إلى رجل من إخوانه من قريش يعزيه بابن أصيب به:

اعلم يا أخي أن كل مصيبة لا يجبر صاحبها ثوابها فهي المصيبة العظمى فكيف رضيت أخي بابنك فتنة ولم ترض به نعمة؟ وكيف رضيت به مفارقاً ولم ترض به خالداً؟.

وكيف رضيته على التعريض من الفساد ولم ترض به على اليقين من الصلاح: بل كيف لك بمقت منعم ولم تعرف له نعمة يريك ما تحب ويرى منك ما يكره. ارجع إلى الله عز وجل وتعزّي برسول الله ﷺ وتمسك بدينك والإسلام [3].

---

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (5052)وأحمد (158/2).

(2) انظر: الإحياء (71/4) للغزالي.

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في تسلية أهل المصائب (ص/ 179).

قصة الصابر على قطع يديهِ ورجليه

قال محمد بن سلمة القاسمي وكان قد قارب المائة قال: وعظ عابد جباراً فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وحمل إلى متعبده فجاء إخوانه يعزونه فقال:

لا تعزوني ولكن هنئوني بما ساق الله إلي ثم قال:

إلهي: أصبحت في منزلة الرغائب أو النظر إلى العجائب إلهي: أنت تتودد بنعمتك إلى من يؤذيك فيكف لا تتودد إلى من يؤذى فيك [1].

قصة الصابر على غياب ابنه

عن الحسن البصري رحمه الله:

أن رجلاً جزع على ولده وشكا ذلك إلى الحسن فقال له: كان ابنك يغيب عنك قال: نعم! كانت غيبته أكثر من حضوره قال:

فأنزله غائباً فإنه لم يغب عنك غيبة خير لك فيها نفع أعظم من هذه قال: يا أبا سعيد هونت عليَّ وجدي على ابني[2].

إلى من مات له مولود

عن عبد الله بن صالح العجلي قال:

كتب ابن السماك إلى رجل يعزيه عن مولود مات:

أما بعد:

---

(1) خبر حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده كما في تسلية أهل المصائب (ص 176) وهو حسن.

(2) ص/ 113 تسلية أهل المصائب.

فإن استطعت أن يكون شكرك حين قبضه الله عز وجل منك أكثر منه حين وهبه لك فافعل فقد أحرز لك هبته حين قبضه ولو بقي لم تسلم من فتنته أرأيت حزنك على فراقه وتلهفك على ذهابه: أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت أنت معلقاً بالخطر ولا مصيبة إن جزعت فهي واحدة إن صبرت ومصيبتان إن لم تصبر فلا تجمع الأمرين على نفسك والسلام[1] .

صبر صابرٍ يكتم دموعه

قال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوة:

إني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة.

فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر.

فنظر إلى رجاء بن حيوة كالمستريح إلى مشورتهِ فقال: رجاء أمضها يا أمير المؤمنين فما ذاك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وقال "العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون".

فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أرباً ثم أقبل عليهما وقال: لو لم أنزف هذه العبرة لأنصدعت كبدي ولم يبكِ بعدها [2] .

---

(1) ص (180) السابق وعزاه ابن عساكر.
(2) التعازي والمراثي (ص 145/144) للمبرد.

قصة الصابر على التزويج

عن الإمام القفال قال:

كان في جواري رجل يأبى التزويج فلما كان في بعض الليالي استيقظ من نومه في الليل ونادى:

زوجوني. فسئل عن ذلك فقال:

لعل الله يرزقني ولداً يقبضه قبل البلوغ وقبل موتي قيل: وكيف ذلك.

قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت والخلق في الموقف وأنا معهم.

وقد اشتدّ عطشي وإذا قد ظهر أطفال بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور يتخللون الجمع ويسقون واحداً بعد واحد فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم:

اسقني، فقد أجهدني العطش فنظر إلي شزراً وقال:

ليس لك فينا ولد وإنما نسقي آباءنا وأمهاتنا فقلت: من أنتم؟.

قالوا: أطفال المسلمين.

قلت للمبارك: ما كان الحسن يرد عليهم إذا عزوه؟.

قال: كان يقول: فعل الله ذلك بنا وبكم [1] .

قصة عمر بن ذر العابد الصابر

قال محمد بن غاسه:

لما مات ذر بن عمر بن ذر وكان موته فجأة أتاه أهل بيته.

(1) خبر حسن: أخرجه ابن عساكر (25) في تعزية المسلم.

يبكونه فقال أبوه: مالكم إنا والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أخطأبنا ولا أريد غيرنا ومالنا على الله معتب فلما وضعه أبوه في قبره قال:

رحمك الله يا بني لقد كنت بي باراً ولقد كنت عليك حدباً وما بي إليك من وحشة ولا إلى أحد بعد الله فاقة ولا ذهبت لنا بعز ولا أبقيت علينا من ذلك وقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنى ما صرت إليه فليت شعري يا ذر ماذا قيل لك؟ وماذا قلت؟ ثم قال: اللهم وعدتني الثواب بالصبر على ذر اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك اللهم إني وقد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر صلة مني فلا تعرفه قبيحاً وتجاوز عنه فإنك أرحم به مني اللهم إني قد وهبت إساءته إلي فهب له إساءته إليك فإنك أجود مني وأكرم.

فلما ذهب لينصرف قال: انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك [1] .

قصة صلة بن أشيم الصابر على استشهاد ابنه

روى ابن أبي شيبه بإسناده عن ثابت البناني:

إن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له فقال له: أي بني: تقدم فقاتل حتى أحتسبك فَحُمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم أبوه فقتل فاجتمعت النساء فقامت امرأته معاذة العدوية فقالت للنساء:

مرحباً، إن كنتنّ جئتن لتهنئتي مرحباً بكن وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن [2] .

---

(1) خبر حسنك أخرجه أبو نعيم (208/5) في الحلية.

(2) تسلية أهل المصائب / للمنجي (ص 45).

صبر ابن عون على حفظ لسانه

قال يحيى القطان: ما ساد عبد الله بن عون الناس أن كان أتركهم للدنيا ولكن ابن عون إنما ساد الناس بحفظ لسانه.

وقال غير واحد: إني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلم له يوم من أيام ابن عون فلا يقدر عليه وليس ذلك أن يسكت رجل يوماً لا يتكلم ولكن يتكلم فيسلم كما يسلم ابن عون [1].

قصة الصابر عند النزع

ذكر ابن أبي الدنيا بإسناده إلى إسماعيل بن عمر وقال:

دخلنا على ورقاء بن عمرو وهو في الموت فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله عز وجل وجعل الناس يدخلون عليه ويسلمون عليه فيرد عليهم السلام فلما كثروا عليه أقبل على ابنه فقال:

يا بني! اكفني رد السلام على هؤلاء لا يشغلوني عن ذكر ربي عز وجل[2].

صبر الفضيل بن عياض على العبادة

روى أن فضيل بن عياض – رحمه الله - كان يقرأ قراءة جيدة مرتلة وإذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها ويسأل الله تعالى ما شاء وكان يُلقى له في الليل حصير في مسجده ثم يقوم فيصلي من أول الليل ساعة ثم يغلبه النوم

---

(1) صفة الصفوة / لابن الجوزي (ص 309/3).
(2) تسلية أهل المصائب / للمنجي (ص 36).

فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم يصلي فإذا غلب عليه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح [1] .

صبر طاووس بن كيسان على العبادة

روي أن طاووس بن كيسان

كان يقول: في كل يوم ينادي مناد من السماء الرابعة عند كل صباح يا أبناء الأربعين زرعكم قددنا حصاده.

يا أبناء الخمسين مُتم فما فعلتم.

يا أبناء الستين لا عذر لكم فليت الخلق لم يخلقوا وإذا خلقوا عملوا لما خلقوا قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم [2].

صبر زبيد اليامي على العبادة

روى أن زبيد اليامي – رحمه الله - كان قد قسم الليل ثلاثة أقسام قسم لنفسه وقسم لولده الآخر وكان يصلي الثلث ولده الصغير فيصلي الثلث الأخير وكان إذا أيقظ أحداً من أولاده فيرى في عينه نوماً فيقول:

نم أنت وأنا أقوم عنك فإذا فرغ جاء لولده الآخر فإذا وجد عنده نوماً فعل معه كذلك [3] .

---

(1) الحلية لأبي نعيم (86/8) صفة الصفوة لابن الجوزي (238/2).

(2) حلية الأولياء لأبي نعيم (86/8) وصفة الصفوة لابن الجوزي (247/2).

(3) حلية الأولياء لأبي نعيم (31/5) وصفة الصفوة لابن الجوزي (98/3).

صبر أبي مسلم الخولاني على العبادة

عن عطية بن قيس: أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني في منزله وهو غاز في أرض الروم فوجدوه قد احتفر في فسطاطه جوبة[1] ووضع في الجوبة نطعاً [2] وأفرغ ماءاً فهو يتصلق فيه وهو صائم فقال له النضر:

ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص لك في الفطر في السفر؟ فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقويت للقتال إن الخيل لا تجري الغابات وهي بدنى إنما تجري وهي ضمرات[3] بين أيدينا أياماً لها نعمل [4] .

صبر داود الطائي على العبادة

قالت داية لداود الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز؟.

قال يا داية بين مضغ الخبز، وشرب الفتيت قراءة خمسين آية [5] .

وعن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي يا دواد لو طبخت لك دسماً؟. قال: فافعلي، .فطبخت له شحماً ثم جاءته به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: فاذهبي به إليهم فقالت: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟ قال: إني إذا أكلته كان في الحُش[6] وإذا أكله الأيتام كان عند الله مذخوراً [7] .

(1) الجوبة: الفرجة.
(2) النطع: قطعة من الجلد.
(3) ضمرات: نحيفات خفيفات.
(4) الزهد لأحمد (2/294-295).
(5) صفة الصفوة لابن الجوزي (3/141).
(6) الحش: موضع قضاء الحاجة.
(7) صفة الصفوة لابن الجوزي (3/134).

صبر مسعر بن كدام على العبادة

روى محمد بن مسعر فقال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع هجعة خفيفة ثم يثب كالرجل الذي قد ضل منه شيء فهو يطلبه فإنما هو السواك والطهور ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداً [1] .

صبر الأسود بن يزيد على الصوم

عن إسماعيل بن أمية قال: كان الأسود بن يزيد مجتهداً في العبادة ويصوم حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له: كم تعذب هذا الجسد؟!.

فيقول الأسود: إن الأمر جد فجدوا كرامة هذا الجسد أريد [2] .

صبر أبي الهيثم على ولده

روى بكر بن مضر - رحمه الله - فقال:

كان أبو الهيثم قد مات ولده وبقي له صبي فمات فقام أصحابه يعزونه وهو في ناحية المسجد مكتئب حزين فقال:

ما تركني حزن يوم القيامة آسى على ما فاتني ولا أفرح بما آتاني [3] .

(1) المصدر السابق (129/3).
(2) حلية الأولياء لأبي نعيم (2/ 103-104).
(3) أخرجه ابن أبي الدنيا (153).

صبر منصور بن المعتمر على العبادة

قال زائدة بن قدامة: صام منصور أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها وكان الليل يبكي فتقول له أمه: يا بني. قتلت قتيلاً فيقول:

أنا أعلم بما صنعت نفسي.

قال: فإذا أصبح كحل عينهُ ودهن رأسه وشفتيه وخرج إلى الناس [1].

اصبر نفسك عند المصيبة

كتب رجل إلى أخٍ له يعزيه بابنه:

أما بعد فإن الله وهب لك موهبة جعل عليك رزقه ومؤنته وأن تخشى فتنته فاشتد لذلك فرحتك.

فلما قبض موهبته وكفاك مؤنته اشتد لذلك حزنك أقسم بالله إن كنت تقياً لهنئت على ما عزيت عليه ولعزيت على ما هنئت عليه فإذا أتاك كتابي هذا فاصبر نفسك على الأمر الذي لا صبر لك على عقباه واصبر نفسك عن الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها حزنها فذلك الحزن الدائم والسلام [2].

---

(1) حلية الأولياء لأبي نعيم (41/5).

(2) أخرجه ابن عساكر (ص 179).

قصة صابر كُف بصره

قيل لرجل كف بصره قد سُلبت حُسن وجهك فقال: صدقت غير أني منعت النظر إلى ما يلهي وعُوضت الفكرة فيما يجدي [1].

وقال الجنيد: بُصرت أبا عبد الله الأشناني وكان ضريراً فقرأ قارئ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [2].

فقال: مسقط عني نصف العمل وبقي علي نصفه وهو ما تخفي الصدور [3].

خطبة رجل صابر على موت ابنه

لما مات ابن عمر بن عبد العزيز خطب الناس فقال:

الحمد لله... الذي جعل الموت حتماً واجباً على عباده فسوى فيه بين قويهم وضعيفهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[4].

فليعلم ذوو النهى فهم أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن الله مسائل كلاً ومفاحصه قال تبارك وتعالى [5].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [6].

---

(1) انظر: ربيع الأبرار (121/4) للزمخشري.
(2) سورة غافر (19).
(3) التذكرة الحمدونية (307/4).
(4) سورة آل عمران (185).
(5) التعازي والمراثي للمبرد.
(6) سورة الحجر (92-93).

صبر الحسن بن صالح على العبادة

قال وكيع بن الجراح: كان علي والحسن – ابنا صالح بن حيّ وأمهم قد جزؤوا الليل ثلاثة أجزاء فكان يقوم الثلث ثم ينام ويقوم الحسن الثلث ثم ينام وتقوم أمهما الثلث فماتت أمهما.

فجزأ الليل بينهما فكانا يقومان به حتى الصبح ثم مات علي فقام الحسن به كله[1].

قصة صبر الحافظ ابن عساكر الدمشقي

مات للحافظ ابن عساكر ولد ولم يحتلم وكان ولداً حسناً قال الحافظ فحمدت الله ولم أظهر لموته جزعاً ولا قلقاً ولم أحالف لذهاباً هلعاً ولا أرقاً ولم أترك لحزنه مجلساً للتحديث ولم أمتنع لأجله من الانبساط والحديث وما كان ذلك إلا بتوفيق الله وإعانته وحسن عصمته من الجزع وصيانته فله الحمد إذ لم يحبط أجري فيه بجزعي ولم يذهب صبري عنه بهلعي لأن المحروم من حرم عظيم الثواب والملوم من جزع لأليم المصاب وأعجب من تصبري:

لما عزاني بعض إخواني حضني على الصبر وقال لي:

مررت بك يوم ثانية وأنت تحدث الجماعة فتعجبت من انشراح صدرك للتحدث تلك الساعة فقلت له:

إن الجزع لا يرد فائتاً ولا ذاهباً والحزن لا يرجع مالكاً ولا عاطباً والبكاء لا يجدي صرفاً لمسلم ولا نفعاً وإذا كان الأمر بهذه الصفة والحال هكذا عند أهل المعرفة فالصبر أحري بذوي الحجى وأليق بأولي الدين والنهي[2].

---

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (134/3).

(2) أورده المنبجي (ص 180-181) تسلية أهل المصائب.

لقد هيجت عليه قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت؟.

فأعدت عليه ما قلت، فقال: لا والذي قضى عليهم بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك لم يكن [1].

صبر العابد الحجازي

قال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت: كيف تجدك؟.

قال: أتجد لما أنت فيه ألماً شديداً؟ فبكى ثم قال: أسلي نفسي ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير.

ثم قال: إني لأحب أن لأهل الصبر غداً في القيامةِ مقاماً شريفاً لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى [2].

صبر صعصعة بن معاوية الطويل

قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمي صعصعة بن معاوية وجعاً في بطني فهزني ثم قال: يا ابن أخي إذا نزل بك شيء فلا تشكهُ إلى أحد فإنما الناس رجلان: صديق تسوءه وعدو تسره والذي بك لا تشكه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ولكن إلى من ابتلاك به وهو قادر أن يفرج عنك.

يا ابن أخي إحدى عيني هاتين ما أبصر بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة وما اطلعت على ذلك أمران ولا أحداً من أهلي [3].

---

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا تسلية أهل المصائب (ص 176).

(2) صفة الصفوة لابن الجوزي (384/4).

(3) انظر نثر الدر (54/5) وفيات الأعيان لابن خلكان (505/2).

صبر مسروق على العبادة

حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع وقالت امرأته: كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه [1].

وقيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة؟ قال: والله لو أتاني آت من ربي فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة.

وقيل كيف ذاك؟.

قال: تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها أما بلغك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [2].

إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم وأعتنقهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه [3].

صبر أحمد بن حنبل على العبادة

روى عن أحمد بن حنبل – رحمه الله - أنه كان يفطر على رغيفين وخيارة ويختم في كل سبع ليالٍ ختمة.

ينام بعد صلاة العشاء ساعة ثم يقوم يصلي حتى الصبح [4].

---

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا 0153) في الهم والحزن.
(2) سورة القيامة (2).
(3) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (109) وصفة الصفوة لابن الجوزي (25/3).
(4) حلية الأولياء لأبي نعيم (181/9).

أم سليم الصابرة على فقد ولدها

يقول أنس بن مالك ﷺ كان ابن أبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟.

قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان[1] فقربت له العشاء فتعشى ثم أصاب منها[2] فلما فرغ قالت: واروا الصبي [3] .

فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول ﷺ فأخبره فقال: أعرّستم الليلة [4]؟.

قال: نعم. قال: "اللهم بارك لهما".

فولدت غلاماً فقال أبو طلحة: احمله، حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات.

فقال: "أمعه شيء".

قال: نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في فم الصبي ثم حنكهُ وسماه عبد الله.

صبر أم العلاء والصبر على الأمراض

صحابية جليلة عرفت بذلك الاسم وعرفت كذلك بكنيتها.

هي عمة حزام بن حكيم الأنصاري.

وقد صبرت على المرض صبراً جميلاً وزارها رسول ﷺ في مرضها وياله من فضل لها ومنقبة كبرى.

---

(1) أسكن ما كان: أي أهدأ أوقاته.

(2) أصاب منها: أي كان بينه وبينها ما يكون بين الزوجين.

(3) واروا: دفنوا.

(4) أعرستم: المراد منه الجماع والوطء.

وروى عن أم العلاء: عبد الملك بن عمير من التابعين وابن أخيها حزام بن حكيم.

تقول أم العلاء – رضي الله عنها -:

عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال عليه الصلاة والسلام "أبشري يا أم العلاء".

فإن مرض المسلم يذهب به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة"[1] .

صبرت أم العلاء على المرض فنالت البشرى النبوية.

فهنيئاً لأم العلاء مع الصابرات على البلاء.

قصة امرأة صابرة على الفقر

عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - قالت:

جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها. فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال:

« إن الله قد أوجب لها الجنة وأعتقها بها من النار» [2] .

---

(1) هذا لما فيه من الإيثار على النفس بحظوظها ورحمة الصغار ومزيد الرفق والإحسان للبنات ابتغاء مرضاة الله.
(2) حديث صحيح أخرجه مسلم (2630) وأحمد (92/6) وابن حبان (449).

صبر فاطمة بنت النبي ﷺ رضي الله عنها

هذه امرأة قد صبرت ورضيت واحتسبت فأخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به ، فليتأس الشخص وليتعلم أوصاف السابقين الأولين ويعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع والصبر من النساء ولم تصب امرأة في الوجود بما أصيبت به فاطمة – رضي الله عنها - التي هي سيدة نساء أهل الجنة فإنها أصيبت بموت أبيها رسول ﷺ .

قصة الأرملة الصابرة

عن أم سلمة قالت:

أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال:

لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به فقال:

لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: "اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به".

قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه فلما توفي أبو سلمة استرجعت في مصيبتي وقلت:

اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منه وفي لفظ: خيراً منها. ثم رجعت إلى نفسي وقلت:

من خير لي من أبي سلمة؟.

فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة من أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني إلى نفسه لما فرغ من مقالته قلت:

يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ولكني امرأة في غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال فقال:

"أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي[1] قالت:

فقد سلمت لرسول الله ﷺ فتزوجها رسول الله فقالت أم سلمة بعد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ.

قصة صبر ماشطة ابنة فرعون

عن ابن عباس – رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ:

لما كانت الليلة التي أسري بي فيها وجدت رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟.

قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها.

فقلت: ما شأنها؟.

قال: بينما هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: بسم الله.

---

(1) حديث صحيح: اخرجه مسلم (918) وأبو داود (3119) والترمذي وابن سعد (63/8) في طبقاته وأحمد (8/4).

فقالت بنت فرعون: أبي؟! فقالت: لا ولكن ربي وربك ورب أبيك الله.

قالت: وإن لك رباً غير أبي؟ قالت: نعم قالت: فأعلمه بذلك؟.

قالت: نعم فأعلمتهُ فدعا بها فقال: يا فلانة ألك رب غيري؟!.

قالت: نعم ربي وربك الله.

فأمر بقدرٍ من نحاس فأحميت ثم أخذ أولادها يلقون فيها واحداً واحداً.

فقالت: إن لي إليك حاجة؟.

قال: وما هي؟.

قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد فتدفننا جميعاً.

قال: وذلك لك علينا.

فلم يزل أولادها يلقون في البقرة حتى انتهى إلى ابن لها رضيع فكأنها تقاعست من أجله.

فقال لها: يا أماه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة [1].

صبر المهاجرة عند البلاء

عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل فلم نبرح حتى قضى فبسطنا عليه ثوبه وأمٌ له عجوز كبيرة عنده فالتفت إليها بعضنا فقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله عز وجل قالت: وما ذاك؟ أما ابني؟!.

قلنا: نعم.

(1) حديث صحيح: أخرجه أحمد (309/1، 310) والطبراني (12279) (122801) في الكبير والبزار والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (65/1) وابن حبان (2893).

قالت: أحقٌّ ما تقولون؟ قلنا: نعم قالت: أحقٌّ ما تقولون؟ قلنا: نعم فمدت يدها إلى الله يعني رفعتها فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمتُ وهاجرت إلى رسول ﷺ رجاء أن تُعينني عند كل شدة ورخاء فلا تحملني هذه المصيبة اليوم.

قال: فكشف عن وجهه فما برحنا حتى أطعمنا معه [1].

قصت الأم الصابرة على موت تسعة أبناء

من عبد الله بن الأجلح الكندي قال:

كانت امرأة من بني عامر من صعصعة وكان لها تسعة من الأولاد. فدخلوا غاراً وأمهم معهم فخرجت لحاجة وتركتهم فرجعت وقد سقط الغار عليهم فجعلت تسمع أنينهم حتى ماتوا فقالت:

إما تصيبك من الأيام جائحة ... فما لقي ما لقيت العام من أحد

ربيتهم تسعة حتى إذا اتسقوا ... أفردت منهم كقرن الأغضب الواحد

وكل أم وإن سرت فما ولدت ... يوماً ستثكل ما ربت من الولد [2]

صبر صاحبة البلاء المبين

تقول أم المؤمنين – رضي الله عنها -:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع [3] بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزاةٍ غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعدما نزل

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (73/2).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا (ص 68).

(3) أجرى القرعة بينهن.

الحجاب وأنا أحمل في هودج[1] وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حينئذ فمشيت حتى جاوزت الجيش ولما قضيت حاجتي أقبلت إلى رحلي فإذا عقد[2] لي من جزع ظفار[3] قد انقطع فالتمسته وحبسني التماسه وأقبل الرهط[4] الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه.

وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقة[5] من الطعام فلم يستنكر خفة المحمل حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب.

فأقمت[6] منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون فبينا أنا جالسة غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب[7] فاسترجع[8] فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه فأناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها[9] فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا

---

(1) الهودج محمل له قبة يوضع على ظهر الجمل.
(2) العقد: القلادة في العنق للتزيين بها.
(3) وجزع ظفار: الجزع خرز معروف وظفار مدينة باليمن.
(4) الرهط: هو عدد من ثلاثة إلى عشرة.
(5) العلقة: الشيء القليل الذي يسد الرمق.
(6) أقمت: قصدت.
(7) أي قبل نزول آية الحجاب.
(8) يعني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وفيه دلالة على فطنة صفوان وحسن أدبه.
(9) أي ليكون أسهل ركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها.

الجيش بعدما نزلوا موغرين[1] في نحر الظهيرة فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول.

فقدمنا المدينة فاشتكيت شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكى إنما يدخل علي فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم"؟ [2].

ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت[3] فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا [4].

وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول من التبرز قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أي نتحذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة فأقبلت أنا وهي قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها[5].

تعس مسطح[6] فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً؟!!.

قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وما ذاك فأخبرتني الخبر فازددت مرضاً على مرضى.

فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال:

كيف تيكم"؟.

فقلت: أتأذن لي آن آتي أبواي؟ وأنا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما فأذن لي فجئت أبواي فقلت: يا أُمّاه ما يتحدث الناس؟.

---

(1) يعني نازلين في وقت الوغرة وهي شدة الحر.
(2) هي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.
(3) نقهت: أفاقت من المرض.
(4) متبرزنا: موضع للتبرز.
(5) مرطها: كساء من صوف أو حرير.
(6) هلك ولزمه الشر.

قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة[1] عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها فقلت: سبحان الله!.

وقد تحدث الناس بهذا؟.

فبكيت الليلة حتى لا يرقأ[2] لي دمع ولا اكتحل بنوم[3] ثم أصبحت أبكي فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث[4] الوحي يستأمرهما في فراق أهله.

فأما أسامة فأشار على رسول ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال:

يا رسول الله: أهلك ولا نعلم إلا خيراً.

وأما علي قال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وأسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال:

"أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك"؟.

قالت: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً [5] أغمصه[6] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن[7] فيأكله فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر:

"يا معشر المسلمين من يعذرني[8] من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي".

---

(1) وضيئة: من الوضاءة أي: حسنة جميلة.
(2) يرقأ: أي لا ينقطع.
(3) كناية عن السهر.
(4) أي طال تأخر نزوله.
(5) أي ما رأيت فيها مما تسألون.
(6) أغمصه: أنقصه وأعيبه.
(7) الداجن: الشاة التي تألف البيت.
(8) أي: من يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه أو من ينصرني.

فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا أعذرك إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك[1] فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية [2].

فقال لسعد: كذبت لعمر الله[3] ولا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن الحضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنهُ فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول ﷺ قائم على المنبر.

فلم يزل يخفضهم حتى سكنوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك وليلتي. لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل ولقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء.

قالت: فتشهد ثم قال - عليه الصلاة والسلام -:

« أما بعد... يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا [4] فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمت[5] بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» .

---

(1) إنما قال ذلك لأنه كان سيدهم فجزم بأن حكمه نافذ.
(2) الحمية: العصبية.
(3) لعمر الله – يستعمل في القسم.
(4) هو كناية عما رُميت به من الإفك.
(5) أي: وقع منك خلاف العادة.

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي[1] حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال:

قال أبو بكر ﷺ والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ.

قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت: وأنا يومئذ حديثة السن: لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمتم لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقونني بذلك[2] ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف:

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [3].

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أعلم أني بريئة وأن الله تعالى يبرئني ببراءتي ولكن والله ما ظننت أن الله ينزل في شأني وحياً يتلى ولشأني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما قام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى نزل الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[4] حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه فلما سُري عنه[5] وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها.

يا عائشة أما والله لقد برأك الله .

---

(1) قلص دمعي: أي استمسك نزوله وانقطع.
(2) أي: لا تقطعون بصدقي وإنما قالت ذلك لأن المرء مؤاخذ بإقراره.
(3) سورة يوسف.
(4) البرحاء: هي شدة الحمى.
(5) سُري عنه: أنكشف وزال.

فقالت أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله وأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ[1] ...﴾ العشر الآيات كلها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر – وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره - والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزلت: **﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ﴾[2]** .

قال: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقالت:

أحمي سمعي وبصري[3] ما علمت إلا خيراً وهي التي كانت تساميني[4] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع[5] وطفقت أختها حمنه تحارب لها[6] فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف[7] أنثى قط ثم قتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله [8].

---

(1) سورة النور (11).
(2) سورة النور (22).
(3) أي من الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع ولم أبصر.
(4) تساميني: تعاليني من السمو وهو العلو.
(5) أي حفظها ومنعها بالمحافظة على دينها.
(6) تحارب لها: أن تجادل لها.
(7) الكنف: الثوب الذي يستر.
(8) حديث صحيح أخرجه البخاري (4750) ومسلم (2770) وأحمد (194/6) والترمذي (3179) والنسائي (271) في تغيره وبرقم (45) في عشرة النساء.

قصة صبر هند بنت النعمان

قالت هند بنت النعمان:

لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكاً ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أذل الناس وأنه حق على الله عز وجل أن يملأ داراً حبرة إلا ملأه عبرة.

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت:

أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوماً وهي في عزها فقيل لها: ما يبكيك؟ فذكر أنها قالت:

رأيت كثرة أهلي وسرورهم وقلما امتلأت داراً سروراً إلا امتلأت حزناً.

قال إسحاق بن طلحة دخلت عليها ذات يوم فقلت لها: كيف رأيت عبرات الملوك؟.

فقالت: ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في حبرة سيعقبون بعدها عبرة وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف [1]

---

(1) تسلية أهل المصائب للمنجي (ص 326).

قصة صبر أسماء بنت أبي بكر ﷺ على الجوع

عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها - قالت:

كنت مرة في أرض أقطعها النبي ﷺ لأبي سلمة والزبير – رضي الله عنهما - في أرض النضير.

فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود فذبح شاة فطبخت فوجدت ريحها فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط وأنا حامل بابنتي خديجة فلم أصبر فانطلقت فدخلت على امرأة من اليهود اقتبس منها ناراً لعلها تطعمني وما بي من حاجة إلى النار.

فلما شممت الريح ورأيته ازددت شرهاً [1] فأطفأته ثم جئت ثانياً أقتبس ثم ثالثة ثم قعدت أبكي وأدعو الله. فجاء زوج اليهودية فقال: أدخل عليكم أحد؟.

قالت: العربية تقتبس ناراً.

قال: فلا آكل منها أبداً أو ترسلي إليها منها.

فأرسل إلى بقدحة – يعني غرفة - فلم يكن شيء في الأرض أعجب إلى من تلك الأكلة [2] .

(1) أخرجه الطبراني كما في المجمع (166/8) وقال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) صفة الصفوة لابن الجوزي (73/2).

صبر حبيبه العدوية على العبادة

عن عبد الله المكي أبي محمد قال:

كانت حبيبة العدوية إذا وصلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت:

إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنى أم رددتها علي فأعزى فوعزتك لهذا وأبي ولأبك أبداً ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني. ما برحت من بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك [1] .

أسماء بنت أبي بكر الصابرة على شدة الجوع

يقول عروة بن الزبير - رحمه الله -:

قالت أمي أسماء – رضي الله عنها -: تزوجني الزبير بن العوام وماله في الأرض من مال ولا مملوك غير ناضح[2] وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأحرز غربه[3] وأعجن ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعهُ رسول الله ﷺ رأس وهي مني على ثلثي فرسخ.

---

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (32/4).
(2) الناضح البعير أو الحمار الذي يستقي عليه الماء.
(3) الغرب: الدلو العظيمة التي تتخذ عادة من جلد الثور.

فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابهِ فدعاني فقال: إخ... إخ[1] ليحملني خلفه.

قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرتهُ وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى.

فقال الزبير بن العوام ﷺ:

والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه.

قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم[2] فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقتني [3].

أم السائب والصبر على الحمى

أم السائب الأنصارية

فلقد بليت من الله تعالى بالحمى وزارها رسول الله ﷺ في مرضها وأحسّ بما تعاينه من شدة الحمى فواساها بذكر فضل الصبر على آلامها.

يقول جابر بن عبد الله ﷺ إن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب وهي تزفزف (يعني ترتعد) وتتحرك حركة شديدة.

فقال عليه الصلاة والسلام: « مالك يا أم السائب تزفزفين»؟.

فقالت: الحمى لا بارك الله فيها.

فقال عليه الصلاة والسلام « لا تسبي فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» [4].

---

(1) إخ... إخ.. صوت يقال للبعير إذ زجر ليبرك.

(2) الخادم: يطلق على الرجل والجارية.

(3) حديث صحيح أخرجه البخاري (5224) ومسلم (2182) وأحمد (347/6) وابن سعد (250/8) في طبقاته والطبراني (94/24) في الكبير.

(4) حديث صحيح: أخرجه مسلم (131/16) والبيهقي (377/3) في سننه الكبرى.

أسماء بنت أبي بكر الصابرة على مقتل ابنها

دخل عبد الله بن الزبير ﷺ في صراع مع الحجاج الثقفي الظالم وخذله أصحابه فلما رأى من الخذلان من الناس له قال ابن الزبير يا أماه خذلني الناس حتى أهلي وولدي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من الصبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟.

فقالت أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها -:

أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أمية.

وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت!! أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ومادعانا إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت أن أعلم رأيك فردتني بصيرة مع بصيرتي.

فانظري يا أماه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر لله فإن ابنك لم يتعمد إتيان المنكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت أسماء – رضي الله عنها -:

إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني وإن تقدمتك اخرج حتى انظر إلى ما يصيرك.

قال ابن الزبير ﷺ: جزاك الله خيراً يا أماه فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد.

فقالت أسماء – رضي الله عنها -:

لا أدعه أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت: اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

فقال ابن الزبير ﷺ: إني لأرى أن هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي واعلمي يا أماه أني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي.

قالت: صدقت يا بني أتمم علي بصيرتك ولا تمكن منك وادن مني أودعك فدنا منها فقبلها وعانقها [1].

فماذا حدث بعد ذلك؟

يقول عروة بن الزبير – رحمه الله -: دخلت أنا وأخي عبد الله قبل أن يقتل على أمنا بعشر ليالٍ وهي وجعة فقال عبد الله: كيف تجدينك؟

قالت أسماء – رضي الله عنها -: وجعة.

فقال ابن الزبير: إن في الموت لعافية.

فقالت: لعلك تشتهي موتي فلا تفعل وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك.

إما أن تقتل فأحتسبك وأما أن تظفر فتقر عيني عليك.

وإياك أن تعرض عليك خطة فلا توافق فتقبلها كراهية الموت.

قال عروة بن الزبير: وإنما عنى أخي أن يقتل فيحزنها ذلك [2].

ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

لقد قتل ابن الزبير شهيداً.

(1) تاريخ الطبري (188/6-189) تاريخ دمشق لابن عساكر (ص 27) تراجم النساء سير أعلام النبلاء (295/2).

(2) حلية الأولياء لأبي نعيم (56/2) طبقات ابن سعد (253/8) صفة الصفوة لابن الجوزي (59/2) السير (293/2).

ولكن ليس بغريب ولا بعجيب وإنما هو من سلالة مباركة بعضها من بعض إنما العجيب والغريب هو ذلك الحقد الأسود والغل الرهيب الذي امتلأ به قلب الطاغية الحجاج حتى يتشفى من ابن الزبير بعد موته.

ونترك أبا نوفل بن أبي عقرب يقص علينا ما رآه وسمعه يقول: صلب الحجاج بن يوسف ابن الزبير على عقبة المدينة لترى ذلك قريش، فلما نفروا جعلوا يمرون ولا يقفون عليه حتى مر عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - فوقف عليه فقال:

السلام عليك أبا خبيب.

السلام عليك أبا خبيب.

السلام عليك أبا خبيب [1].

أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً. وصولاً للرحم أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير.

يقول أبو نوفل – رحمه الله -:

ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف ابن عمر وقوله فأرسل إلى ابن الزبير فأنزل عن جذعه فألقى في قبور اليهود!!.

ثم أرسل الحجاج إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو بعثت إليك من يسحبك بقرونك[2] فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث لي من يسحبني من قروني!.

فقال الحجاج: أرى أني سبتي[3] فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف[4] حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟.

قالت أسماء: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك أخرتك.

---

(1) أبا خبيب: كنية عبد الله بن الزبير / كُنى بأكبر أبنائه خبيب.
(2) أي: من يسحبك بضفائر شعرك.
(3) سبتي: هي النعل التي لا شعر عليها.
(4) معناه: يسرع وهو يتبختر.

بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين وأنا والله ذات النطاقين.

أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً [1] فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه [2].

فقام عنها الحجاج ولم يراجعها.

وكانت أسماء تدعو. وتقول اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأُكفنه فأتيت به بعد ذلك قبل موتها فجعلت تحنطه بيديها وتكفنه بعد ما ذهب بصرها وصلت عليه فما أتت عليها إلا جمعة حتى ماتت فرضي الله عن أسماء الصابرة على البلاء [3].

صبر أم زفر على المس الشيطاني

قال عطاء بن أبي رباح – رحمه الله -:

قال لي ابن عباس – رضي الله عنهما -: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة؟

قلت: بلى.

فأراني حبشية صفراء عظيمة، فقال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت:

أني أُصرع وأني أتكشف[4] فادع الله لي.

وفي رواية: إني أخاف الخبيث أن يجردني.

---

(1) المبير: المهلك.

(2) حديث صحيح: أخرجه مسلم (2545) وأحمد (351/6) والحميدي (326) والطبراني (101/24) في الكبير وأبو نعيم (57/2) في الحلية والحاكم في المستدرك.

(3) التاريخ الصغير (156/1) للبخاري وتاريخ دمشق لابن عساكر (27) السير (295/2).

(4) المراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر، وذلك بسبب تجريد الخبيث لها.

فقال عليه الصلاة والسلام: « إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك».

فقالت: أصبر. ثم قالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها[1] فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها.

قال عطاء: رأيت أم زفر: تلك المرأة الطويلة السوداء على ستر الكعبة.

صبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها

امرأة صبرت وثبتت واحتسبت فأخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به فإذا نظر من أصيب بمصيبة إلى امرأة قد فعلت عند المصيبة أمراً لا يكون إلا عند السرور والأفراح فليتأس الشخص وليتعلم أوصاف السابقين الأولين.

ولم تصب امرأة في الوجود بما أصيبت به فاطمة – رضي الله عنها التي هي سيدة نساء أهل الجنة.

فإنها أصيبت بموت أبيها رسول الله ﷺ ولم تقل في هذه الحال العظيمة إلا قولاً صدقاً محفوظاً عنها فإنها قالت:

«يا أبتاه من ربه ما أدناه يا أبتاه إلى جبريل أنعاه يا أبتاه أجاب رباً دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه» [2].

---

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد (528/5) والترمذي (2507) وابن ماجة (4031).

(2) أخرجه البخاري (113/8) والنسائي (13/4) وابن ماجة (1629) والدارامي (40/1 ، 41) في سننه.

أم الخير الداعية إلى الصبر

قالت أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية - رحمها الله تعالى -:
﴿ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [1].

إن الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعوكم في عمياء مبهمة ولا شعواء[2] مدلهمة[3] فإلى أين تريدون رحمكم الله؟!.

أما سمعتم الله تعالى يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [4].

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول:

«اللهم إنه قد عيل[5] الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك اللهم أزمة[6] فاجمع اللهم الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله».

قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فأنى بكم غداً قد لقيتم قوماً باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [7] ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ [8] حين تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [9].

---

(1) سورة الحج (1).
(2) شعواء: يقال: شيعت الفارة تشعى شعا إذا انتشرت وعمت.
(3) المدلهمة: المدلهم الأسود وادلهم الليل والظلام كثف واسود.
(4) سورة محمد (31).
(5) عيل: العول النقصان والمراد نقص، ونفد.
(6) أزمة: أزم عن الشيء، أمسك عنه ولازم الإمساك.
(7) سورة التوبة (12).
(8) سورة المؤمنون (40).
(9) سورة ص (3).

إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار أيها الناس:

« إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا مدة الآخرة فسعوا لها والله أيها الناس لولا أن يبطل الحق ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان لما اختاروا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه إلى أين تريدون رحمة الله»؟!. وقد اجتهدت في القول وبالغت في النصحية وبالله التوفيق [1] .

قصة الصابرة على الأمر بالمعروفِ والنّهي عن المنكر

قالت زينب بنت يحيى المتوكل:

خدمت نفيسة بنت الحسين أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟.

فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها الفائزون [2] .

ولما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل شكا الناس من ظلمه وذكروا ذلك لنفيسة بنت الحسين فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: غير غدٍ فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقهِ وقالت: يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا هي: ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن الأقدار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أو جعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون متقلبون فعدل لوقته [3] .

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (ص 514).
(2) الأعلام (187/5).
(3) الأعلام (188/5).

قصة امرأة صابرة من غاضرة

مر رجل بامرأة من غاضرة وإذا ابن لها مسجى بين يديها وهي تقول يرحمك الله يا بني فوالله ما كان مالك لبطنك ولا أَمرك لعِرسِك ولقد كنت لي لين العطفة يرضيك أقل مما يسخطك.

قال: فقلت لها: يا أمة الله ألك منه خلف؟.

قالت: بلى ما هو خير منه ثواب الله تعالى والصبر على المصيبةِ [1] .

قصة امرأة صابرة تتعزى بالرسول ﷺ

قال ابن السماك الواعظ – رحمه الله -:

كان يجلس إلي رجل مسن فبلغتني شكايتهُ فأتيتهُ أعوده فإذا هو قد نزل به الموت وإذا أم له عجوز كبيرة ولم أكن أظن أن له أماً يومئذ.

قال فجعلت تنظر إليه حتى أغمض وعصب وسُجي.

قال: ثم قالت: رحمك الله قد كنت بنا باراً وعلينا شفيقاً فرزق الله عليك الصبر وقد كنت تطيل القيام وتكثر الصيام لا حرمك الله ما أقلت من رحمته وأحسن عنك العزاء قال: ثم نظرت إلي فقالت: أيها القاعد قد رأيت واعظاً ونحن معك ولو بقي أحدٌ لأحد بقي فقلت في نفسي:

تقول لبقي ابني لحاجتي إليه.

فقالت: لبقي رسول الله ﷺ وآله وأمته فخرجت وأنا أقول: ما رأيت امرأة أجزل منها ولا أجل [2] .

---

(1) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (266/4).

(2) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (266/4).

قصة الصابرة على فعل الخيرات

عن أم ذرة – رحمها الله تعالى - قالت:

بعث عبد الله بن الزّبير إلى عائشة – رضي الله عنها - بمال في غرارتين يكون مائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس[1] فأمست وما عندنا من ذلك درهم واحد!!.

فلما جاء موعد الإفطار قالت عائشة – رضي الله عنها -: يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقلت لها: يا أم المؤمنين أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟!.

فقالت عائشة رضي الله عنها: لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت[2]!!.

وقال عروة – رحمه الله - رأيتها تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها[3]!!.

قصة الصابرة في الدفاع عن الرّسول ﷺ

يروي عنها ابنها عمارة بن غزية فيقول: قالت أم عمارة - رضي الله عنها - رأيتني وقد انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقى إلا في نفر لا يتمون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب[4] عنه والناس يمرون به منهزمين ورآني ولا ترس معي.

فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس فقال ألق ترسك إلى من يقاتل فألقاه فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله.

---

(1) أي من الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى والمصابين.

(2) طبقات ابن سعد (67/8) وحلية الأولياء لأبي نعيم (47/2).

(3) الزهد لأحمد (ص 206) صفة الصفوة لابن الجوزي (30/2).

(4) نذب: ندافع.

وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجالةً مثلنا أصبناهم إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس فيضربني وترست له فلم يصنع شيئاً وولى فأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي ﷺ يصيح يا ابن أم عمارة أمك! أمك!..

قالت فعاونني عليه حتى أوردته شَعُوب[1] [2].

وتقول جدة ضمرة المازني وكانت قد شهدت أحداً عن أم عمارة كانت تقاتل يومئذ أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحاً وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها وكانت أعظم جراحها فداوتهُ.

ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد[3] فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم رضي الله عنها ورحمها [4].

صبر السميراء بنت قيس الأنصارية

لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد. حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة فخرجت امرأة من الأنصار هي السميراء بنت قيس فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى.

فلما مرت بهم قالت: ما فعل النبي ﷺ قالوا: أمامك حتى ذهبت إليه فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطبٍ[1].

---

(1) الشعوب: اسم من أسماء المنية.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (8/413- 414).

(3) حمراء الأسد: اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق.

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي (4/279).

قصة أم الفضل بن سهل الصابرة

لما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون إلى أمه يعزيها فيه فقال:

يا أمه لا تحزني على الفضل فإني خلف لك منه فقالت له: وكيف لا أحزن على ولد عوضني خلفاً مثلك؟.

فتعجب المأمون من جوابها وكان يقول:

ما سمعت جواباً قط كان أحسن من جواب أم الفضل ولا أخلب منه [2] .

قصة نهاية الصابرة على الرزق بالفرج

عن أحمد بن جعفر البرقي قال:

رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد[3]، فذهب بزرع كان لها فجاء الناس يعزونها فرفعت طرفها إلى السماء فقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن خلف وبيدك التعويض عما تلف فافعل بنا ما أنت أهله فإن أرزاقنا عليك وآمالنا معروفة إليك.

قال: فلم أبرح حتى جاء رجل إلى مياسير أهل البلد فحدثت بما كان فوهب لها خمسمائة دينار [4] .

---

(1) مغازي الواقدي (ص 292) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (313/4).

(2) نثر الدر للسيوطي (54/4).

(3) البرد: هو ماء الغمام يتجمد في الهواء ويسقط على الأرض على هيئة حبوب، وإذا أصيب الزرع به هلك.

(4) الفرج بعد الشدة للتنوخي (181/1).

صبر فاطمة بنت محمد على العبادة

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين.

هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار [1] .

صبر خنساء بنت خدام

عن حفص بن عمرو الجعفي قال:

كانت باليمن امرأة من العرب جليلة حسناء كأنها بدنه يقال لها خنساء بنت خدام فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها وبكت حتى ذهبت عيناها وقامت حتى أقعدت من رجليها [2] .

قصة العابدة الصابرة خوفاً من النار

كانت امرأة من العابدات بالبصرة تصاب بالمصائب فلا تجزع فذكروا لها ذلك فقالت:

---

(1) المصدر السابق (202/2).
(2) المصدر السابق (302/2).

ما أصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذبابة [1].

صبر أم سالم الراسبية على العبادة

قال محمد بن الحسين: حدثني أبو سمير رجل من الأزد قال: أتيت أم سالم الراسبية بين الظهر والعصر فاستأذنت عليها فأذنت لي فدخلت عليها فقيل لي:

إنها تصلي فانتظرت فلم تنفتل من صلاتها حتى نودي لصلاة العصر فلما صليت عدت إليها فإذا هي تصلي فلما انتهت من صلاتها قالت: إذا كانت لك حاجة فلا تأتني في هذا الوقت فإن الذي يدع الصلاة في هذا الوقت فإنما يُضيع حظ نفسه [2].

عفيرة والصبر على العمى

إنها عفيرة البصرية ابتليت في نعمة العين فصبرت صبراً جميلاً، واجتهدت في طاعة ربها اجتهاداً شديداً فكانت لا تنام من الليل إلا قليلاً عاتبها بعض أهلها فقالوا لها: إنك لا تنامين من الليل إلا قليلاً وتقومين كثيراً.

فقالت عفيرة – رحمها الله -:

ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟!.

فبكوا وقالوا نحن في شيء وهي في شيء آخر.

---

(1) تسلية أهل المصائب للمنبجي (ص 40).
(2) المصدر السابق (389/4).

ويحدثنا يحيى بن بسطام فيقول: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه:

ما أشد العمى على من كان بصيراً؟.

فسمعت عفيرة فقالت: يا عبد الله والله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وأنه لم يبق مني جارحة إلا أخذها [1] .

أم علي ابنة الأغنياء الصابرة

هي أم علي امرأة أحمد بن خضرويه البلخي وكانت من بنات الرؤوساء مُوسرة فأنفقت مالها كله على الفقراء.

وكانت تقول ما ذكرت فقري قط إلا ذكرت استغنائي بربي وغناه فيزيل عني مواقف الفقر وأقول يكون فقيراً من له سيد مثله دعا الله تعالى الخلق إليه بأنواع البر واللطف فما أجابوه فصب عليهم أنواع البلاء ليردهم بالبلاء إليه لأنه أحبهم [2] .

زوجة صابرة على مقتل الزوج والابن

إنها معاذة بنت عبد الله العدوية عابدة من عابدات البصرة.

تكنى أم الصهباء وتزوجت بصلة بن أشيم أحد العباد الزهاد وروت عن علي بن أبي طالب وعائشة وهشام بن عامر. وحدث عنها: أبو قلابة ويزيد الرشك وأيوب السختياني وعاصم الأحول.

---

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (33/4).

(2) ذكر النسوة المتعبدات للمسلمي (ص 76).

وحديثها محتج به فهي ثقة وحديثها في الكتب الأصول الستة. وكانت تجتهد في العبادة وتقول:

عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

وتقول لابنتها يا بنية: كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء فإني رأيت الراجي محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ورأيت الخائف له مؤمناً له زمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت.

ولما قتل زوجها وابنها في سبيل الله صبرت على هذا البلاء واحتسبت الأجر والثواب عند خالق الأرض والسماء.

يروي ثابت البناني فيقول:

كان صلة بن أشيم وابنه في مغزى فقال أي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت:

مرحباً بكن إن كنت جئتن للهناء.

يعني لتهنئنني فمرحباً بكن وإن كنت جئتن ليغر ذلك فارجعن، هكذا اعتبرت معاذة العدوية البلاء نعماء والمحنة منحة من الله وكانت تقول – رحمها الله -:

والله ما محبة للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل.

صبر زجلة العابدة

قال أحمد بن سهل الأزدي: دخل على زجلة العابدة نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟.

فإنما هي أيام مبادرة. فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً والله يا أخوتاه لأصلين؟ ما أقلتني جوارحي ولأصومن له أيام حياتي ولأبكين له ما حملت الماء عيناي ثم قالت:

أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟ [1] .

صبر عمرة امرأة حبيب العجمي على العبادة

هي عمرة امرأة حبيب العجمي كانت تأخذ بيد زوجها إلى طاعة الرحمن ويأخذ هو بيديها فانتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته في السحر وقالت له:

قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا [2] .

---

(1) المصدر السابق (40/4).
(2) صفة الصفوة لابن الجوزي (ص 296/4).

صبر عجردة العمية على العبادة

كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلي إلى السحر ثم تجلس فتدعو الله حتى يطلع الفجر [1] .

صبر امرأة من عبد القيس عن الهوى

عن إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا شيخ من بني عبد القيس قال: سمعتهم يقولون: إن رجلاً أراد امرأة عن نفسها فقالت: أنت قد سمعت الحديث وقرأت القرآن فأنت أعلم.

قال: أي باب؟.

قالت: الباب الذي بينك وبين الله تعالى.

قال: فلم يعرض لها [2] .

قصة صبر أم عقيل

ذكر أبو الفرج بن الجوزي في عيون الحكايات، قال الأصمعي:

خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدناها فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام قالت:

من أنتم؟ قلنا:

قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم فقالت:

---

(1) المصدر السابق (31/4).

(2) ذم الهوى لابن الجوزي (ص 217) وروضة المحبين لابن القيم (ص 395).

يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل ففعلنا فألقت لنا مسحاً فقالت:

اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعتها فقالت:

أسأل الله بركة المقبل أما البعير فبعير ابني وأما الراكب فليس بابني فوقف الراكب عليها فقال:

يا أم عقيل أعظم الله أجرك في عقيل قالت:

ويحك مات ابني؟.

قال: نعم.

قالت: وما سبب موته.

قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر فقالت:

انزل فاقض ذمام القوم ودفعت إليه كبشاً فاذبحه واصله وقرب إلينا الطعام فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت فقالت: يا هؤلاء: هل فيكم من أحدٍ يحسن من كتاب الله شيئاً؟.

قلت: نعم.

قالت: اقرأ من كتاب الله علي آيات أتعزى بها قلت: يقول الله عز وجل في كتابه ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [1] .

قالت: إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا قالت:

السلام عليكم ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت:

---

(1) سورة البقرة آية (155-157).

« إنا لله وإنا إليه راجعون» عند الله أحتسب عقيلاً تقول ذلك ثلاثاً اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني [1] .

قصة صابرة البادية

قال الأصمعي – رحمه الله -:

دفعت يوماً في تلمسي بالبادية إلى وادٍ خلاء لا أنيس به إلا بيت معتنز[2] بفنائه أعنز وقد صمئت ميممته فسلمت فإذا عجوز قد برزت كأنها نعامة راخم[3] فقلت:

هل من ماء؟ فقالت: أو لبن فقلت: ما كانت بغيتي إلا الماء فإذا يسر الله اللبن فإني فقير فقامت إلى قعب فأفرغت فيه ماء ونظفته وغسلته ثم جاءت إلى الأعنز فتغبرتهن[4] حتى احتلبت قراب ملء العقب ثم أفرغت عليه ماءً حتى رغال وطفت ثمالتهُ[5] كأنها غمامة بيضاء ثم ناولتني إياه فشربت حتى تحببت[6] رياً واطمأننت فقلت: إني أراك معتنزة في هذا الوادي الوحش والحِلة منك قريب فلو انضممت إلى خبائهم فأنست بهم.

قالت:

يا ابن أخي إني لآنس بالوحشة واستريح إلى الوحدة ويطمئن قلبي إلى هذا الوادي الموحش فأتذكر من عهدت فكأني أخاطب أعيانهم. وأتراءى أشباحهم وتتخيل إلى أندية رجالهم وملاعب ولدانهم ومندى أموالهم [7].

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (201/2).
(2) المعتنز: المنفرد.
(3) الراخم التي تحضن بيضها.
(4) تغبرتهن: احتلبت الغبر وهو بقية اللبن في الضرع.
(5) الثمالة: الرغوة.
(6) تحببت: امتلأت.
(7) المندي: المكان الذي يندى فيه الماء.

والله يا بن أخي لقد رأيت هذا الوادي بشع[1] اللديدين[2] بأهل أرواح وقباب ونعم كالهضاب وخيل كالذئاب وفتيان كالرماح يبارون الرياح ويحمون الصباح فأخال عليهم الجلاء قحاً[3] بغرفةٍ [4] فأصبحت الآثار دارسة والمحال طامسة وكذلك سيرة الدهر في من وثق به ثم قالت:

ارم بعينيك في هذا الملأ المتباطن[5] فنظرت فإذا قبور نحو من أربعين أو خمسين فقالت: أترى تلك الأجداث؟.

قلت: نعم، قالت:

ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو عم أو ابن عم فاصبحوا قد ألمأت[6] عليهم الأرض وأنا أنتظر ما غالهم انصرف راشداً يرحمك الله [7].

سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

---

(1) بشع: ملآن.
(2) اللديدان: الجانبان.
(3) قحا: كنساً والقمامة الكناسة.
(4) الغرفة: الواحدة من الغرف وهو نوع من الشجر.
(5) المتباطن: المتطامن.
(6) ألمات: احتوت: وتلمأت عليه الأرض استوت عليه ووارته.
(7) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (257/4).

المصادر والمراجع

- صحيح البخاري.
- الجامع لشعب الإيمان / للبيهقي.
- شرح السنة / للبغوي.
- الآداب الشرعية / لابن مفلح.
- عودة الحجاب / لمحمد المقدم.
- المنتظم / لابن الجوزي.
- إعداد المرأة المسلمة / لسيد محمد نمر.
- اقتضاء الصراط المستقيم / لابن تيمية.
- تبرج الحجاب / لمحمد حسان.
- تحريم الخلوة / لمحمد الصباغ.
- حجاب المرأة / للقاضي عبد الله أفندي.
- موارد الظمآن / لعبد العزيز السلمان.
- مسند الإمام أحمد / تحقيق شعيب الأرنؤوط.
- حقوق المرأة في الإسلام / لأبو بكر الجزائري.
- صحيح مسلم.
- سنن أبي داود.
- سنن النسائي.
- سنن الترمذي.
- سنن ابن ماجه.
- أعلام النساء / لعمر رضا.
- رسالة الحجاب / لابن عثيمين.
- صفة الصفوة / لابن الجوزي.
- صلاح الأمة / لسيد العفاني.
- عدة الصابرين / لابن القيم.
- سير أعلام النبلاء / للذهبي.
- الطبقات الكُبرى / لابن سعد.
- أحكام الحجاب في القرآن / لأمين الإصلاحي.
- النقاب في الإسلام / لأحمد الفنجري.

فهرس الكتاب